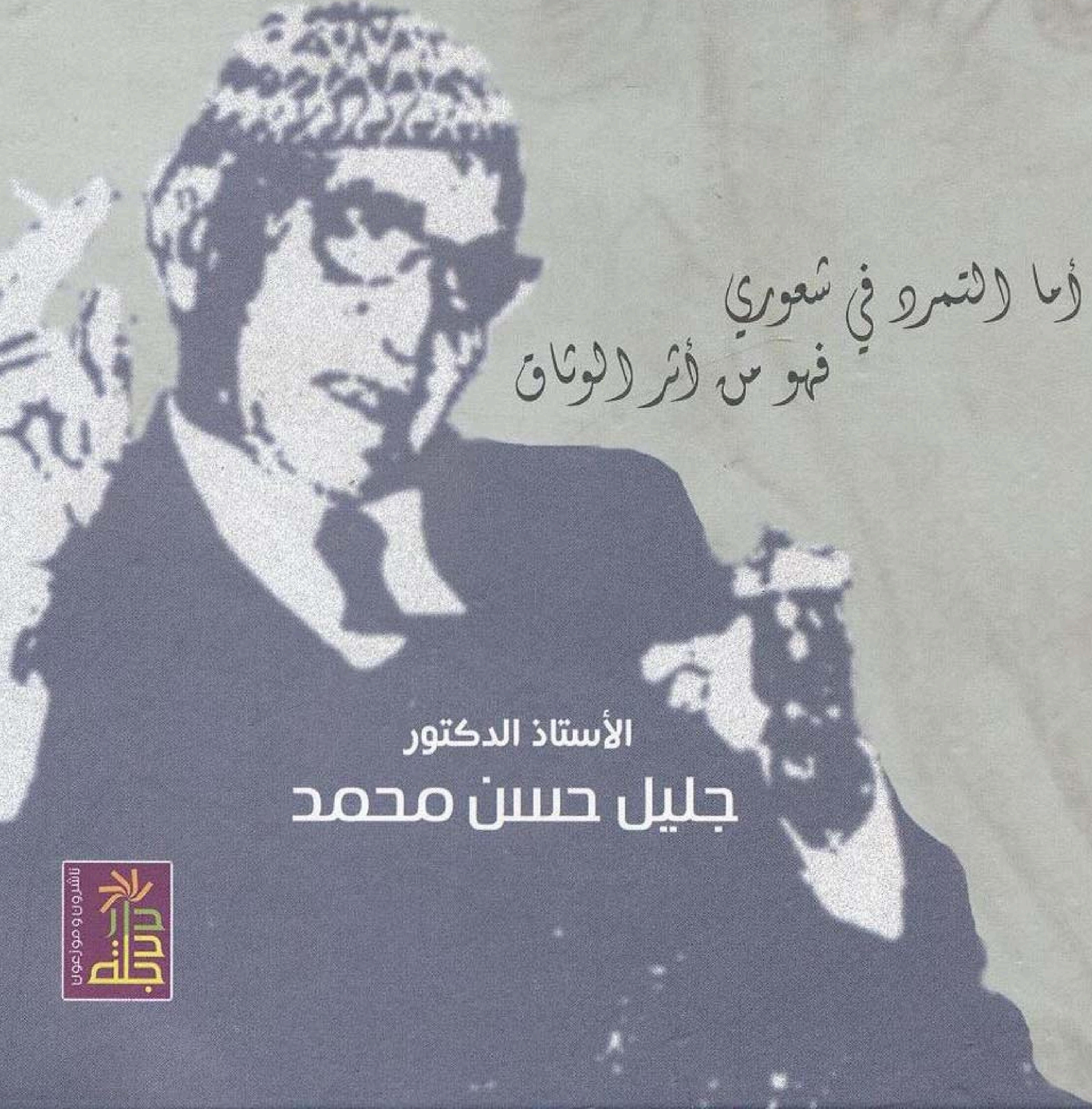
ALJAWAHERI

آثار الوثاق

دراسات أدبية في شعر الجواهري



أما التمرد في شعوري
فهو من أثر الوثاق

الأستاذ الدكتور

جليل حسن محمد

دار دجلة ناشرون وموزعون

آثار الوثاق

دراسات أدبية في شعر الجواهري

آثـــــار الـــوثـــــاق

دراسات أدبية في شعر الجواهري

الأستاذ الدكتور

جليل حسن محمد

الطبعة الأولى

دار دجلة

2010

رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية (2009/7/2895)

811.09

محمد ، جليل .

آثار الوثاق: دراسات أدبية في شعر الجواهري / جليل حسن محمد . عمان: دار دجلة 2010.

(86) ص

ر.أ: (2009/7/2895).

الواصفات:/ الشعر العربي // النقد الأدبي // التحليل الأدبي /

أعدت دائرة المكتبة الوطنية بيانات الفهرسة والتصنيف الأولية

الطبعة الأولى 2010

دار دجلة
ناشرون و موزعون

المملكة الأردنية الهاشمية

عمان- شارع الملك حسين- مجمع الفحيص التجاري

تلفاكس: 0096264647550

خلوي: 00962795265767

ص. ب: 712773 عمان 11171- الأردن

جمهورية العراق

بغداد- شارع السعدون- عمارة فاطمة

تلفاكس:0096418170792

خلوي: 009647705855603

E-mail: dardjlah@ yahoo.com

978-9957-71-124-5 :ISBN

الإهداء

إلى ولدي علي مع

خالص حبي

مقدمة:

علاقة مؤلف هذا الكتاب قديمة بشعر الجواهري، وصلته به تكاد تكون يومية، وقد أثمرت هذه العلاقة عن ثلاثة بحوث أكاديمية في شعره وهي(التحدي، الغربة، الحزن) وقد نشرت هذه البحوث في مجلات أكاديمية تصدر في جامعات مختلفة في العراق وفي أوقات متفاوتة، وعندما وقعت هذه البحوث بيد بعض الأصدقاء والمهتمين بالجواهري وشعره أشاروا على المؤلف ـ بعد الإقرار بفائدتها ـ بضرورة جمع هذه التفاريق في كتاب واحد يضمها بين دفتيه فيوفر على المتلقي غير قليل من الوقت في البحث عن تلك البحوث لو بقيت في مطارح شتى لاسيما وان المجلات الجامعية بحكم طبيعتها الخاصة تكون محدودة العدد ضيقة الانتشار غائبة عن سوق الكتاب وفي منأى عن متناول اليد، وقد تردد المؤلف أول الأمر عن الاستجابة لرجائهم ووجد أن به حاجة إلى شيء من التريث وإرجاء المشروع إلى قابل الزمن بيد أن الرجاء قد تكرر والدعوة قد نشطُت أكثر من ذي قبل ففكر ثم أقدم على ضم هذه البحوث إلى بعضها وجمعها في كتاب واحد غير أن شيئاً آخر قد بقي يشغل باله وهو اصطفاء عنوان دالٍ عليه تنضوي تحته الموضوعات الثلاثة، وقد وقع الاختيار من بين طائفة من العنوانات على تسميته (آثار الوثاق) والذي أوحى إليه بهذا العنوان وهداه إليه هو قول الجواهري نفسه:

أمّـا التَـمرُّدُ فـي شُعـو ... ري فَهْـو مِنْ أثَـرِ الوَثَـاقِ

فالموضوعات الثلاثة المؤلفة لمحتوى الكتاب على الرغم مما يبدو عليها من التباين في الظاهر غير أن هناك قاسماً مشتركا بينها يكفل لها الجوار المحمود وأعني به المصدر الأساس الذي ينبثق منه ويفتح باب الشعر عليه وهو (الوثاق) المتمثل بأشكال الهيمنة وضروب القهر التي تعرض لها الجواهري إنساناً وشاعراً لشعب راسف في قيود ظالميه من المستبدين والمستعمرين وأعقابهم، فالتحدي أثر من آثار الوثاق ومحاولة جريئة لمواجهته والتحرر من وطأته الدامية، والغربة أثر من آثار الوثاق ومحاولة للفكاك منه كما أن الحزن أثر ثالث من آثار هذا الوثاق ينبئ عنه بفصيح الكلم ويعلن عن قصور وسائله عن رفع أوزاره عنه أو تهوين سلطانه عليه ويبقى للمؤلف أمل كبير في أن يحوز هذا الكتاب رضا القارئ العزيز وأن يكون جزءاً من الوفاء لهذا الشاعر الذي نذر نفسه لقضايا شعبه والتفت لهموم الإنسان في كل مكان من هذا العالم المتلاطم المفعم بالأرزاء هذا العالم الذي كان حصيد الجواهري منه صنوف المرارة وألوان العذاب وسجلاً حافلاً بالشموخ وضامناً للخلود.

التحدي في شعره

حينما يباري امرؤ آخر في فعل وينازعه الغلبة فيه إنما هو يتحداه [1] وبهذا المفهوم تبدو قامة الجواهري طويلة منتصبة في شعره الذي يفيض من خافق يتقاسمه الغضب والرضا، الغضب على ما لا يليق بالإنسان ويخدش كرامته والرضا عن كل ما يشمخ به ويرفع هامته وقد ينبري قائل ويقول: أجل كان الجواهري على الظلم يحتج وعن الحق يذود ولكن ألم يوادع؟ ألم يساير؟ ألم يضعف بدافع من رغبة أو رهبة أمام سلطة أو ملك أو أمير أو وزير؟ أقول: السؤال وجيه والاعتراض وارد و ليس بمقدور أحد أن ينكر الحال أو أن يتستر عليه وأشعاره في ذلك شواخص في ديوانه وعليه شواهد (لكنه كان في صميم الأحداث والمتغيرات دائماً فيعبر عنها في كثير من قصائده حتى عُدَّ شعره سجلاً ممتازاً أو تصويراً دقيقاً لتطلعات الحركة الوطنية في الحقبة المضطربة العنيفة من تاريخ العراق الحديث)[2] هذا ما يقوله عنه الآخرون وإذا ما سئل الجواهري نفسه أ أنت ثائر؟ لبادر إلى القول باعتداد كبير بالنفس (أنا أعتبر نفسي ثائراً بالطبيعة)[3] ويحس المتلقي من هذه الإجابة أن الشاعر يجد لذة كبيرة في الثورة[4] وتلح عليه في السؤال وهو يلح عليك في التأكيد ويذهب إلى أن الثورة ميراث ورثه عن الآباء وان الوفاء لهم يقتضي أن لا يحيد عن دربهم قائلاً:

أمي غذتني الملهبـا   تِ وضرعها حَفْلٌ لبون

وأبي تحلّف أن يجو   ع ولا يذل ولا يهـــون[5]

---

[1] - لسان العرب:1808/2.

[2] - تطور الشعر العربي الحديث في العراق:284.

[3] - مجلة الشعر البيروتية:38، وينظر المثقف العربي:133، ولغة الشعر عند الجواهري ضمن كتاب (محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية):201.

[4] - ينظر الغربة حتى وعي الغربة:76-75.

[5] - ديوانه:250/7.

إن هذا التحدي الذي يثري به الجواهري ديوانه ويعتز به يأتي على ثلاثة اضرب:

1ـ تحدي رجال السلطة والحكام:

إن طبيعة الجواهري الثائر وجدت في الأوضاع ما يزيدها لهيباً وسعاراً، فلقد توالت عليه أحداث جسام تنوعت بين مطاردة تتكرر وسجن يعاود وصحيفة تحتجب ومقتل أخ عليه عزيز،تلك هي معاناة الجواهري وليس هناك عنصر يفوق أهمية عنصر المعاناة في أثناء اللحظة التكوينية للقصيدة[1] وقد تهيأ للجواهري أن يودع شعره طاقات إيجابية مكنته من مواجهة السلبيات ومقارعة بواعث التردي (على اعتبار أن الظروف التي لا تكون في صالح الجماهير يجب أن يقابلها الشعر النقيض لها أي شعر في صالح الجماهير لا الشعر المساير للسلبيات بنتائجها إذ لا يعقل أن يقع الشعر بضمن النتائج للأفعال السلبية المفروضة قسراً لانه لم يكن جزءاً منها ولا نتيجة من نتائجها وإنما هو رد فعل ضدها وكل رد فعل للأمور السلبية لا يمكن أن يشابه الفعل السلبي ويسايره على اعتبار أن المسايرة ـ في هذه الحالة ـ هي التخدير أو التنويم المغناطيسي وبهذا المفهوم لا يعتبر رد فعل بل هو انقياد بينما الشعر الناتج من جراء المؤثرات السلبية يجب أن يكون رد فعل إيجابي ذا أثر فعال)[2].

ومن هنا شنّ الجواهري حرباً ضارية على عوامل الفساد مجاهراً برفضه الواقع متطلعاً إلى مستقبل أفضل بديل يكتسح معه مساوئ الحاضر القائم لبناء صرح جديد مشرق وأيقن أن تلك الآمال التي تساوره وتساور شعبه لا ترى النور إلا بتقويض صروح الطغاة والتصدي الحازم للمستعمرين ومآربهم بيد أن الطريق إلى ذلك شاق عسير، وأي مطمح ينقاد لصاحبه بلا ثمن؟

فما أن يليق بمجد النضال   ضعيف على نصره يغضب

وأن غـداً باسماً يُـجتلـــــى   بشق النفوس ولا يوهب[3]

---

(1) - الشعر بين الواقع والإبداع:106.

(2) - نفسه:34.

(3) - ديوانه:169/3.

فالأماني يسوقها من يستسهل الصعب ويأتي العظائم:

ومن يتطلب مصعبات مسالك فأيسر شيءٍ عنده المركب الصعب[1]

وليس شيء أولى ـ قبل البدء ـ من مجاهدة النفس وترويضها على العزم لتخليصها من أوشاب الضعف والوهن.

ولي نزعات أبعدتها عن الخنا سجية نفس هذبتها الشدائد[2]

وقبل أن تنوش السيوف مفارق الأعداء لابد من عزائم تعين على الفعل المقتدر وإلا فلا خير يرتجى من السيوف في ظل عزائم خائرة.

وما ضرهم نبو السيوف وعندهم عزائم من قبل السيوف قواطع[3]

والجواهري إذ يرينا عزيمة نفسه إنما يرينا صورة للعزيمة المثلى المبتغاة وهي أصلب من الصخر وأعتى من الإعصار وأدمر من الخطوب:

ما حطمت جَلَدي يد النُّوَبِ لكن تحطمت النـــوائـب بـي

قل للخطوب إليك فابتعدي ألمستِ بـي ضـعفاً لـتقتـــربي

أنا صخرة مـــــا إن تـخوفني هذي الرياح الهوج بالصخب[4]

وتمضي السنون وعزيمة الشاعر لا تشيخ ولا تهرم تغريها الأيام بخذلان صاحبها وهي تأبى أن تهجره أو أن تتوانى عن نصرته وآية ذلك الإصرار الذي لا تلبسه الهوادة للشاعر الشيخ لاسيما في بيته الأخير من هذا النص:

---

(1) - ديوانه:87/1.

(2) - ديوانه:196/1.

(3) - ديوانه:102/1.

(4) - ديوانه:297/2.

في الكف مطرقتـــي أفـل بحدها	**أصـــــــلاب أوغاد وهـام طغـاةِ**
ستون عاماً خضتها كمخاضكم	**لجج الحيــاة عنيفـة الغمـرات**
أجتـاز منـهــــــــا لـجة وتلفـني	**أخـرى وتفسد لفها عـزماتي**
بيدي أشد فإن هوت فبساعدي	**فإذا التوى فبماضغي ولهاتي[1]**

والعزيمة الراسية على دعائم متينة لا تلين لسحر المغريات غنما تتحصن من المكاسب الآتية المثبطة للهم مثلما تتحصن من المحن نفسها:

أبوا الخنوع فآثروا أن يُقبلوا	**والمغريات تريدهم أن يدبروا[2]**

وحمل النفس على قبول ما يخشن والسمو بها على الملذات ينأيان بها عن عروض مغرية محتملة غايتها استمالة العزوم وكسر طوق التحدي لذا يقول الجواهري:

ووطنت نفسي كما تشتهي	**على مطعم خشن أجشبِ[3]**

ولاشك في أن قهر ملذات النفس يستل منها الخوف ولاسيما وأن الطريق الذي يختاره المناضلون طريق تحفه المخاطر من كل حدب وصوب وايسر تلك المخاطر عليهم الجوع والعري فتلك معان (تدفعك إلى الاهتمام والثورة الوجودية الهائلة أمام الذات وأمام العالم معاً)[4] يصوغها قلم الشاعر الفنان بقوله:

وليــــــس بـحر من إذا رام غاية	**تخوف أن تـرمي به مسلكاً وعــرا**
وما أنـت بالمعطي التمرد حقه	**إذا كنت تخشى أن تجوع وأن تعرى**

---

(1) - ديوانه:346/4.

(2) - ديوانه:31/4.

(3) - ديوانه:28/2.

(4) - من الغربة حتى وعي الغربة:88.

وهل غير هذا ترتجي من مواطن   تريد على أوضاعها ثورة كبرى[1]

فالخوف والتحدي ضدان لا يجتمعان في صدر ومن هنا ينفي الجواهري عن نفسه الاختفاء عن جماهير شعبه على مدى ستين عاماً لعلمه أن الاختفاء هزيمة وفي الهزيمة دلالة بائنة على الخوف لذا فهو حضور دائم في الموقف الضنك إذا استرفده القوم أرفد:

ستون عاماً لم أحاول ساعةً   أن أختفي عمن هنالك أو هنا[2]

والشاعر يؤمن إيماناً لا ينازعه شك بدور القوة في مظاهرة الحق وتأييد مريديه إذ يميز بين قوتين إحداهما للباطل تنتصر وأخراهما للحق تنزع غير أن الغلبة في نهاية المطاف حليف الحق وإن قصرت وسائله والخيبة المرة قرينة للباطل وإن تظاهر بالعدة والعدد:

فاصمد فحقك قوة مرهوبة   الأقويـــــــاء إزاءه ضعفاء[3]

وما أعظم القوة ساعة تجرف موانع الجائرين وتقتحم بيوت الطغاة وتنقل الصراع إلى عقر دارهم فيطرقون صاغرين أمام كبرياء الحق وثورة أهله:

آليـت اقتحم الطغـــــاة مـصرحاً   إذ لـــــم أعـود أن أكـون الـرائبا

وغرست رجلي في سعيـر عذابهم   وثبت حيث أرى الدعي الهـاربا

ماذا يضر الجـوع؟ مجــــد شامخ   أنـي أظـل مع الرعيـــة سـاغبا

يتبجـحون بأن موجاً طـــــاغياً   سـدوا عليـه منافــــذا ومساربا

كذبوا فملء فم الزمان قصائدي   أبـداً تجـوب مشارقـــا ومغاربا

---

(1) - ديوانه:85/2، وينظر:475/1.

(2) - ديوانه:307/4.

(3) - ديوانه:12/4.

تستل من أظفارهم وتحط من أقدارهم، وتثـــل مجداً كاذبا

أنـــا حتفهم ألج البيوت عليهمُ أُغري الوليد بشتمهم والحاجبا

أنـــا ذا أمامك ماثلاً متجبراً أطأ الطغاة بشسع نعليَ عازبا(1)

ونظير هذا في انصياع الباطل لجبروت الحق الذي لا يوقف زحفه مكابر قوله:

إن الجهاد صحيفة مخضوبة جمدت عليه للشعوب دماء(2)

ويلفت الشاعر الأنظار إلى جدوى القوة فيجد فيها أفضل معبر إلى المجد المنشود الذي ينتظر قصاده وراء جبل من لهيب النار ودم الشهيد:

ردي علقم الموت لا تجزعي ولا ترهبي جمرة المصرعِ

فما سعرت جمرات الكفاح لغير خليق بهـــا أروع

فأنشودة المجد مـــا وقعت على غيــر أوردة قطع(3)

وتعد القوة للشعوب المضطهدة بمثابة العتاب القوي للمتجبر الذي لا يعي سوى منطق القوة التي تزلزل كيانه:

وإذا عتبت على القوي فلا يكن إلا بأطــراف الحراب عتاب(4)

ويسوغ الشاعر الحقد على مسببي التدهور ومرتكبي الظلم، وقد جاءت صيغتا (الأوجع والأبشع) في النص الآتي لترجحا التكثير والزيادة في ضربهم جزاء وفاقاً لتماديهم في العسف:

(1) - ديوانه:2/401ـ402.

(2) - ديوانه:4/11.

(3) - ديوانه:4/235.

(4) - ديوانه:1/505.

جزائر كِيلي بصاعي حقودٍ عـــــــمٍ في ضـراوته مُـقذعِ

على موجع الظلم بالأوجـع ومستبشع الحقد بالأبشع[1]

إن الطبع الرقيق المسالم مع البغاة الكائدين لا طائل من ورائه ولا مناص من أخذهم بالقسوة والحدة ومقابلة كيدهم بكيد أشد وأعظم:

تحـولت من طبع لآخـــر ضـده من الشيمة الحسناء للشيمة النكرا

وكنت وديعاً طيب النفس هادئا فأصبحت وحشاً والغاً في دم ثمرا

فلو دبر الباغون للكيـــد خطـة رأوا إنني منهم بتدبيرها أحرى[2]

ويدعو من منطلق الرد بالمثل إلى الاقتصاص من البغاة والقتلة وشراب الدم ويؤكد باللامين الداخلتين على الفعلين(تسقي، تأخذ والنونات التوكيدية الثلاث الملحقة بالأفعال أن الثأر سيقع لا محالة:

من مبلغ الشر أن الخير يصرعه والبغي أن قوى الأحرار تنتصرُ

يا شارب الدم مرت ليلة طرفا ولن تمر ليـال بعـدها أُخـــــــر

لتسقين بتلك الكأس متـــرعة سـماً وتكرع مـــا فيها وتنفـطر

لنأخذنك أخـــذ الليث حصتـه ونسحقـنك إن الـثأر ينتظر[3]

إن هذا الصراع المرير الذي يسترخص فيه الأباة دماءهم تحد عنيد ينتهي إلى إحدى غايتين إما تأمين الحياة الحرة الكريمة أو نيل الخلود بالشهادة:

(1) - ديوانه:239/4، وينظر:267/2.

(2) - ديوانه:87/2.

(3) - ديوانه:335/4، وينظر:97/2.

فإما حياة حـــرة مستقيمـة تليـــــق بشعـب ذي كيان وسؤددِ

وإما ممات ينتهي الجهد عنـده فتعذر فاختر أي ثوبيك ترتدي[1]

إن الحياة الحرة التي يناضل الجواهري من اجلها ويحرض الجماهير على صنعها متعذرة الولادة ما لم تروها دماء الضحايا فبين الحياة الحرة والدماء صلة عضوية محكمة وعلاقة جدلية رابطة حتى لتستحيل هذه العلاقة بينهما ـ عند الشاعر ـ لازمة توأمية لا تقبل الانفصام:

فالثكل والعيش السوي سوية ودم الضحايا والحياة توأم[2]

فالقتال بين المظلوم وظالميه سجال ولامعنى هنا للسلم إذا كان شعاراً موهوماً يقترف في ظله المزيد من المآثم وحين يكون السلم أفتك من الحرب نفسها فالحرب أحمد:

كفرت بالسلم من بعد الجنوح له فقد وهت حجـج منه وأعـــذارُ

وقد ربـت في ظـــــلال منـه مأثمة واستكـلبت فيه أضـباع وأنمـار

شر من الحرب سلـــم خادع مـذق في الوعد عي وفي الإيعاد مهذار[3]

وقد أثبتت التجارب الحياتية المعاشة والوقائع الملموسة أن ملاينة الطغاة تجلب ضرراً مضاعفاً وجوراً أشنع فقد انطوت نفوسهم على الطبع الغليظ والبطر المسرف:

إن الطغاة إذا لاينتهم بطروا مثل الصغار إذا دللتهم فسدوا[4]

---

(1) - ديوانه:14/2.

(2) - ديوانه:282/3.

(3) - ديوانه:270/4، وينظر:330.

(4) - ديوانه:196/6.

وبوحي من نزعته المتحدية يدعو الشاعر إلى مخاشنة أولئك الطغاة بجأش رابط وجنان ثابت لا يوافيه خوف ولا تطوف بساحته مصانعة، وآية ذلك استفهامه الإنكاري المكرر وهو يخاطب نفسه بقوله:

أ أنت تخاف من أحدٍ　　　أ أنت مصانع أحدا ؟[1]

وشرط في المتحدي أن يصبر حتى تحين ساعة الانقضاض وينتصف المضامون من مصادري إرادتهم، فلا ضجر على الرغم من جسامة العبء وثقل الوزن:

الصامدون على وعورة دربهم　　　ما مسهم ضجر ولا إعياء[2]

والصبر لدى الشاعر صبران صبر المستشرف المتطلع الذي يوجب الثناء ويحمل على الإكبار وصبر العاجز المتقاعس الذي ينقلب صبره سبة عليه ومعرة له، فلا كان ولا الصبر:

ذممت اصطبار العاجزيـن وراقني　　　على الضر صبر الواثب المتطلعِ

له ثـقة بالنـفـــــــس أن ستـقوده　　　لحال يرجى خـيرها أو لمصــرع

وما الصبر بالأمر الــيسير احتماله　　　وإن راح ملصوقاً به كل مدعي

ولا هـو بالشيء المشـــــــرف أهله　　　إذا لم تكن عقباه غير التوجع[3]

يعلن الجواهري مراراً أن طريق الكفاح وعر عسير لكن الصابر المتطلع يجتازه بصلابة عزمه دون أن يلهج بالشكوى لأن الشكوى ضعف والضعف ينافي التحدي:

حسب الكريم من الأذى إحجامه　　　حتى عن الشكوى من الإيذاء[4]

---

(1) - ديوانه:209/6.

(2) - ديوانه:11/4.

(3) - ديوانه:277/2.

(4) - ديوانه:255/4.

ولتلك العلة يحارب الضراعة ويرفض البكاء والبكائين:

ساءلت نفسي لا أريد جوابها أنا أمقت الضراع والبكاء[1]

وتطبيقاً لفكرته تلك يأبى أن يكون شاعراً راثياً يبكي الخالدين بدمع هتون، فالخالدون أحياء وما بالأحياء حاجة إلى رثاء أو إلى من يمطرهم بدموع سواكب، قال لمناسبة وفاة عبد الناصر:

أكبرت يومك أن يكون رثاء الخالدون عهدتهم أحياء[2]

وشاعرنا واجد لذته فيما يجره عليه هذا التحدي من الأذى والنحس:

ولولا قلوب تحسس الأذى لما عرف اللذة العاشقونا[3]

وتطالعنا صورة من صور التحدي في شعر الجواهري إذ يصر على ان يكون في قلب الأحداث وان يلازم جماهيره ولا يحلو له ان يحيا في غير بلاده بين أكناف النعمة وحده وبلاده تلفها الأزمات فكأنه يرى في انفراده بالمسرة ضرباً من التهاون في قضايا شعبه وتنصلاً عن منهجه المصطفى لذا تنزع نفسه نحو بلاده ليعانق حر أحداثها ويواصل الشوط على دروب شائكة ووجهته مطلع الشمس:

وما سرني في البعد حال تحسنتْ بلاديَ أشهـى لي وإن ساءت الحالُ

أحب حصاها وهو جمر مؤجج وأهوى ثراها وهو شوك وأدغال[4]

بيد أن الجواهري الذي كان على علاقة حميمة مع مجتمعه سرعان ما صير تلك العلاقة تمرداً عليه في أثر عثرات نفسية حادة بينه وبين مجتمعه الذي رضي بالخنوع وأذعن لمشيئة الحكام العتاة وترك الشاعر وحده في حومة المعاناة، يهيب به فلا يلتفت إليه

---

(1) - ديوانه:60/6.

(2) - ديوانه:51/6، 253_252/3.

(3) - ديوانه:226/1.

(4) - ديوانه:265/1.

أحد فإذا به يزيح الستار عن هذه الحال غير المألوفة من تجربته بسيل من الفعل (أطبق) في قوله:

أطبق دجى، أطبق ضـــباب أطبـق جـهاماً يـــــا سـحاب

أطبق دخان مـن الضميـــــــرِ محـرقاً، أطبق عــــذاب

أطبـق عـلــــــى مـتبلـديـ ـنَ شكا خـمولهم الذبـــــاب

لـم يعـرفوا لـــــون السـما ءِ لفـرط ما انحنت الـرقــاب

ولفرط مـــــا ديـست رؤو سهم كـما ديـس التـــــراب

أطبـق عـلى هـــــذي المسو خِ تعاف عيشتها الكـــلاب[1]

2. تحدي الموت:

ومثلما ثار الجواهري على أعداء الجماهير ومناوئي تطلعاتها ثار في وجه الموت انحيازاً منه للحياة التي كانت تنبض في جنبات نفسه على نحو عارم على الرغم من أن الموت حدث مرعب لأنه فناء يستهدف الحياة وسر الصراع بينهما في أساسه يعزى إلى وجود جميل مرغوب فيه يخاف عليه وجليل مرهوب منه يخاف وقوعه[2] وقد تأكد لديه أن الحياة التي يلفها الخسف ترادف معنى الموت إن لم تكن أشد منه لذعاً وإيلاما وأن المرء حين يحرص على الحياة وقيمها الجميلة يهون عليه الموت ويتلاشى أمامه الخوف لأن خيار مجابهة الموت هنا بمثابة الحياة نفسها والاستهانة به إرادة لصنع الحياة نفسها فبذلك يستحيل الموت مضموناً إيجابيا ينافي المضامين السلبية[3].

---

(1) - ديوانه:407/3.

(2) - روح العصر:19.

(3) - ينظر الذات والغرائز:103.

والجواهري في إزاء الموت جلد قوي يقف موقف الند منه يغضب عليه طمعاً في إخافته ويناجزه طمعاً في الانتصار عليه ينتصب أمامه مرتقباً متى يؤول الصراع بينهما من وجه لوجه إلى وجه لظهر:

ند مع الـموت غضبانا يـناجـزه وجهاً لوجـه كجـلاد يـنـــاصبه

يلقي الحديـد بأضلاع يـفجرها حقد يذيب شبا الفولاذ لاهبه[1]

وتحدي الموت بهذه الصرامة يشعر بثقة الشاعر بنفسه ويوحي بتمييزه بالمنازلة التي تحدوه إليها لذة كبيرة يسهل إشباعها عليه ويعسر على سواه:

وللقيا الحتوف وجها لوجه لذة تبتغي بجهد جهيد[2]

وخلف تلك اللذة نفس حرة لا قرار لها على ضيم ولا تبالي بالموت ذوداً عن الحياة طال العمر أو قصر، فلا الإقدام يعجل الساعة ولا الإحجام يمد في الآجال، إنما الخلود بالذكر المحمود الذي يبنيه بالجديد ويفرض التغيير المطموح إليه:

هـي النفس تأبى أن تـذل وتُـقهراً ترى الموت من صبر على الضيم أيسرا

وتـختار محموداً من الذكـر خالداً عـلى العيش مذمـوم المغبة منكرا[3]

فالموت الذي يهرب منه الآخرون يهرب إليه الجواهري مدفوعاً بحب الحياة حتى أنه ليتآلف مع الموت وتآلفه معه تحدٍ للموت نفسه لأن الموت موت، فأنى السبيل إلى التآلف معه؟! لكنه الجواهري يركب الصعب ويروضه ليعود من رحلة البحث بالحياة مغنما:

وأركب الهول في ريعان مأمنة حب الحياة بحب الموت يغريني[4]

---

[1] - ديوانه:5/303ـ304.

[2] - ديوانه:5/76.

[3] - ديوانه:2/271.

[4] - ديوانه:5/92.

والمغرم بالحياة الجميلة يسعى إلى نبعها غير آبه بالصعاب ولنسأل أبا فرات ما نبع تلك الحياة كما ترى؟

أرى الـموت نبع الحياة الجميل إذا خـضبته الليـالي بدمْ

وعن وهج الكأس كأس الوجود تترجم عيناي سر العـدم

ألـذُّ عـناق ظـــــــــلال الـحياة تخالط فيها سرور بـهم[1]

إن الموت الصانع للحياة هو النمط الذي أراده الجواهري وأدار معه معركته لأنه يعرف أن الموت في الحياة يفضي إلى العدم أما إذا كان استشهادا في المعركة في سبيل الآخرين فأنه يصبح انتصارا للحياة بمجموعها انتصارا له وللجنس البشري[2].

3. تحدي الزمن أو الدهر:

يزعم الناس أنه قوة قاهرة مهيمنة لا سلطان لهم عليها، ويعزون إليه كل ما يصيبهم من نفع وضرر وصلاح وفساد[3]يراه الجواهري زعماً فاسداً معطلاً لقوى الإنسان وباعثاً على التشاؤم والانكفاء، وهو يحث على الإقدام بغية تفعيل القوى المودعة في الإنسان واستثمارها على أحسن شاكلة، فإذا كان الدهر قوة مكدرة للحياة فليكن الإنسان قوة مطاولة لها تناضل من أجل منحها الصفاء والألق:

هو الدهر قارعة يصاحبك صفوهُ فما صاحب الأيام إلا المقارعُ[4]

فالمهم أن تقارع وأن يكون لك موقع في المقارعة وأن تتريث في انتظار ما تسفر عنه الحال من نتائج:

---

(1) - ديوانه:3/390.

(2) - المطر والميلاد والموت في شعر السياب:12.

(3) - ينظر الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام:33ـ35.

(4) - ديوانه:1/101.

دع الطـوارق كالأتـون تـحتـــــدمُ	**وخـلها كحبيـكِ النسج تلتحـــــــمُ**
وخـذ مكانك منـها غير مكتـرث	**دهدى بك الموج أو علت بك القمم[1]**

لكن الدهر يقوى إذا أنس في غريمه تهاوناً وإلا فهو مغلوب على أمره منصاع لإرادة القوي المسكون بالعزيمة الماضية والمتأهب لدحر بواعث الرهبة ووأد كل مكيدة:

أمامكـم موعـر مـلغـــــم	**بـشتى المخـــــاوف مستصعـب**
يسـد مـداخلـه أرقـــــم	**ويـحـمي مسالكــــــــــه أذؤب**
فلا تهنوا إن هذي الأكـف	**تملي على الدهر ما يكتـــب[2]**

ولابد من اطراح التشاؤم الذي يثقل الخطو ويغري بالركود، فالمحاولة أما النتائج فموكولة بأحيانها وستأتي إن نصراً أو إخفاقاً ولو تأكدت العواقب لدى العازم على أمر قبل انجلاء المواقف واتضاح الرؤية لخمدت الهمم واضمحلت النوازع وتفهقت الغايات:

خض الكوارث لا نكساً ولا جزعا	**واترك إلى الغيب ما يـجري به القلمُ**
لو كـان يضمن نصر قبل موعده	**لكان أرخص ما في الأنفس الهمم [3]**

ويوضح الجواهري وظيفته شاعراً تجاه أحداث الزمان وناسه فينيط بنفسه مهمة تعرية الشر والأشرار وإماطة اللثام عما يجري في الخفاء، فتلك رسالته وعليه أن يجهر بها وأن يسمع الآخرين مضمونها وأن يضع في أيديهم مفتاح الباب الذي يطلون منه على الآفاق الجديدة الرحبة، فهو مجند نفسه لها ومحرض الآخرين على حيازتها:

ذخرت لأحداث الزمان يراعا	**يـجيد نـضالا دونها وقراعـا**

---

(1) - ديوانه:253/5.

(2) - ديوانه:169/3.

(3) - ديوانه:253/5.

وأعـددته للطارئات ذخـيرةً يزيح عن الشر الكمين قـناعاً

وهل أنا إلا كالمؤدي رسـالةً رأى كتمها حيفاً بها فأذاعا[1]

إن ما يدعو إليه الشاعر عمل متواصل لا يقف عند حد ولا يحول دونه تقدم العمر مادام في النفس رمق وفي القوس منزع:

يا شبـاب الغـــــد إنا فتيـة مثـلكم فرقـنا في العمـــــر سنٌّ

لم يزل في جـانحينا خافـق لصروف الدهر ثبت مطمئن[2]

والشاعر لا يحفل بالدهر ولا يسوغ لأحد أن تصدر عنه نأمة شكوى لأن الشكوى من نوب الدهر أمارة ضعف وتخاذل تأباها عزائم المكافحين على درب الحياة:

عتبتُ وما لـي مــن معتبِ عـلى زمـن حُوّل قُـــــلّبِ

أ نلصـق بالدهر ما نـجتوي ونختص نـحن بـما نـجتبي

كأن الذي جـاء بالمـخبـثات غـيـــر الذي جـاء بالطـيب

وما الدهـر إلا أخـو حيدة مُطـــلٍّ على شـرف يـرتبي

يسجـل معـــركة الكائنـات مثـــــل المسجـل في مـكتب

فـما للزمـان وكفّـي إذـــــا قبضـت على حـمة العقرب

بنابي من قبل نـاب الـزمان ومن قبـــل مـخلبه مـخلبي

دع الدهر يذهب على رسله وسر أنت وحـدك في مذهب

[1] - ديوانه:321/2.

[2] - ديوانه:327/4.

ولا تـحتـفـل بكـتاباتـــــــه أرد أنت ما تشتهي يكتب[1]

وكلما ضايقه الدهر صب عليه جام غضبه وقاومه،ومعلوم أن الغضب (نتيجة لنوع من أنواع الهجوم الحاسم القوي على المصاعب والعراقيل التي تحول دون نيل الأهداف والغايات المرغوب فيها)[2] ولكن كيف يغضب الجواهري؟

وكنت متى أغضبْ على الدهر أرتجلْ مـحرقة الأبيات قـاذفـة جـمـــــــرا

كشـأن زيـاد حين أُحــــــــــرج صدره وضُويقَ حتى قـال خطبته البترا[3]

إن تجاوز الماضي والتحرر من عبوديته والنهوض بالحاضر وإملاء أناته جزء من تحديه للزمن إيمانا منه بأن فوات أجزاء من الزمن فوات لفرص من التقدم:

وسـوف يبين إذا ما انجـلى غد ، من يـجد ، ومن يلعبُ

فسـوف يدور (سـاعاتكم) بـما لا يسركم (عقرب)[4]

إن مراجعة الماضي وإخضاعه للنقد كفيلان بتسهيل مسؤوليات الحاضر في التجديد بقصد الانتماء إلى المستقبل بحكمة أعلى وجهد أقل ووقت أقصر:

تذكروا أمـس واستـوحوا مساوئه فقـد تكـون لكـــــــــم في طيـه عبرُ

مـدوا جـماجـمكم جسراً إلى أمـــل تحاولون، وشقوا الدرب واختصروا[5]

---

(1) - ديوانه:2/27ـ30.

(2) - علم النفس في الحياة العملية: 87.

(3) - ديوانه:2/86.

(4) - ديوانه:3/169.

(5) - ديوانه:2/315.

ولا يأتي هذا التجدد إلا بالثورة على القديم البالي والتمرد على مناحي العقم في الأمة:

لَوَ انَّ مقاليد الجماهير في يدي ... سـلكتُ بأوطاني سبيل التمردِ

إذن علمت أن لا حـياة لأمـــــة ... تـحاول أن تحيا بغير التجدد[1]

تلك هي القوى التي تحداها الجواهري وتمرد عليها ويبدو من خلال النصوص التي قامت عليها هذه الدراسة أن معجم التحدي في هذه النصوص زاخر بطوائف من الألفاظ التي أجيد انتقاؤها وأحسن استخدامها لعقد الصور المعبرة بدقة عن مفهوم التحدي، فمن الألفاظ التي أدت إلى معاني النفاذ والاندفاع(الاجتياز، الاقتحام، الولوج) أما الألفاظ التي تحمل دلالة المقاومة فمثل(يناجز، ند، وجهاً لوجه).

وحين يعمد إلى كشف مواقف التماسك في فعل التحدي يجد مبتغاه في الألفاظ من مثل(الجلد، الصخر، الأجشب) أما المواضع التي ينبئ فيها عن تضاؤل الخصوم أمامه واعتلائه عليهم فيختار لها مفردات تناسب مقتضى الحال على شاكلة (أطأ، أركب، الواثب، متجبر) وإذا أراد أن يطلع متلقيه على الانفعالات التي تعتري المتحدي فـ (الغضب، والجمر، واللهب، والمحرقة) من مقوماته الأثيرة في البناء، وللموانع، المعترضة سبيل التحدي ألفاظ مخصوصة يلقانا منها (الصعب، موعر، ملغم) ويتوفر على ألفاظ من مثل(مطرقتي، أشد،أقطع، أفل للضرب، وأبوا للتمرد) لحالات الرفض، و(أصمد، غرست، غير مكترث) للثبات وتواصل العزيمة، وفضلاً عن ذلك فإن اسم التفضيل له حضوره في نصوص التحدي وكأن الشاعر بهذا الاستخدام يهدف إلى نفي صفات التحدي عن أخصامه ويقرب نفسه ومن معه من مطلق تلك الصفات على سبيل المبالغة فهناك(الاوجع، الابشع،أحرى،ألذ)، ولا يغفل ما تؤديه المؤكدات من مهام في قطع الشك من فعل التحدي باليقين لاسيما إذا اجتمع أكثر من مؤكد واحد في القول كاجتماع ا للام الواقعة في جواب القسم المحذوف ونون التوكيد الثقيلة على نحو ما يتضح ذلك في (لنسقين، لنأخذن) وسواهما مما يثري هذا الجانب ويعمقه.

---

[1] - ديوانه:13/2.

لقد أوتي الجواهري مقدرة عالية منحته الدقة في الوصف والحسن في التصوير والإجادة في التركيب الشعري وبناء علاقات جدلية بين موضوع التمرد والفن الأسر الذي يفيض جمالاً ويشع توهجاً، وقلما يحالف التوفيق شاعراً يحاول الجمع بين طرفي هذه المعادلة، بيد أن الجواهري ذا الطبع الموهوب نجح نجاحاً كبيراً في هذا الاتجاه وكأنه كان يحرص على جمع ما تفرق من ملامح بين الرصافي الشاعر المتمرد المبتعد عن روعة الفن وشوقي الشاعر الفنان الذي أحجم عن التمرد وتعامى عن الأوضاع.[1]

وما تحقق ذلك للجواهري لولا الذكاء واللسان وقوة الحجة وسطوع البيان ومعايشة الأحداث فرسم للمتحدي صورة بطولية أشبه ما تكون بالصورة التي رسمها هوميروس لأبطال طروادة العظام.

إن طريق التحدي الذي اختاره الجواهري طريق صعب عسير لا يسلكه إلا الجلد الصبور الذي لا ينصاع لسلطان الرهبة ولا يلتفت لداعية الإغراء، فإيمان الشاعر بحتمية انتصاره الإرادة الحرة حبب إليه الفقر ووثق آصرته بالشعب وأهداه إلى النضال الدؤوب من أجل غد وضاء لا أثر فيه للقتامة والظلم وهو من أجل ذلك يعلن عن الحاجة الماسة إلى القوة لحماية الإنسان المستلب إذ لا يمكن لهذا الإنسان أن ينال حظه من الحياة والأزهار دونما قوة تحميه وترعاه فقسوة الأعداء يجب أن تقابل بقسوة مماثلة أو أعنف منها لأن المناضل الذي يتلقى ضربات أعداء الشعب ولا يرفع يده متحدياً لا يمكن أن يبلغ الغاية التي إليها يسعى، فالمهم الأول في المتحدي أن لا يدع ثغرة للبغاة ينفذون من خلالها إلى الساحة لنيل مآرب شريرة، ولا يهم بعد ذلك كيف تكون العاقبة فهي إما أمان تنال أو موت يحول دونها ومن هنا لا يرى الجواهري في السلم شيئاً ذا قيمة بل إنه ليكفر به لأنه يرى فيه ستاراً ترتكب خلفه ألوان المآثم وتنتهك في ظله قداسة الإنسان، وفضلاً عن ذلك فإن الجواهري يخرج من دائرة تحديه لكل المتشبثين بالصبر العاجز والمجهشين بالبكاء العاثر والقانعين بالشكوى التي تذهب مع الريح هباء فللعذاب عند الجواهري لذة تضاهي لذة الحب لدى العاشقين فهو واجد لذته في هذا العذاب المحبوب الذي يتخذه جسراً يعبر من فوقه إلى ضفاف البهجة أما الموت الذي استهان به الشاعر وتحداه فذو صلة بمحور تحديه للجائرين الطغاة فهؤلاء يملكون من وسائل التدمير والتعذيب والبطش ضروباً وهم لا يتورعون لحظة في

---

[1] - ينظر تطور الشعر العربي الحديث في العراق:330.

استخدامها، ومن هنا يضع الجواهري في حسبانه أولا وقبل كل شيء أن الموت في انتظاره في كل آن وهو لا يقدر على فعل التحدي إذا كانت فكرة الموت الرهيب قد استحوذت عليه لذا يضع الجواهري نفسه في مواجهة الموت عبر حرب ضروس لا هوادة فيها يقارعه فيها جهداً بجهد غير مبالٍ بالعاقبة فلا قيمة لحياة يجاورها الذل والمسكنة أما الحياة الحرة الكريمة فتغريه بالموت مراراً، كما أن الجواهري في إطار تحديه يتمرد على الدهر ولا يستسلم له وآية ذلك رفضه للقديم البالي وتجاوزه الحاضر الراهن تطلعاً إلى مستقبل آت يليق به وينبئ عن عظم طاقاته التي يجعل بها الزمن طوع إرادة لا معطلاً لقواه.

الغربة في شعره

اضطر الجواهري إلى النزوح عن الوطن فعاش ردحاً طويلاً من الزمن بعيداً عنه وعن الأهل يمارس تجربة الغربة الفاجعة التي أمدته بزخم جديد من معدن الشعر ومادته صاغها فناً رائقاً يخلب به اللب ويأسر النفس، وهذه الذخيرة الشعرية ظلت بعيدة عن مدى النظر والدرس مثلما ظلت جوانب كثيرة أخرى من شعره في منأىً عن المتابعة والعناية، وقد رأى الباحث أن الغربة ـ لكونها فصلاً قسرياً بين الشاعر ووطنه أرضاً وعلاقات ـ تشكل موضوعاً ذا قيمة علمية خاصة لاسيما حين يُتخذ الشعر وسيلة لإفراغ المحتوى الوجداني المحتدم في النفس، إن الجواهري الذي عُدَّ (جملة استثنائية فريدة ومطولة في سياق الخطاب الشعري المعاصر)[1] أوجعته الغربة فأودع مواجعه تلك في شعر يفيض بالأسى والقلق والذعر والنقمة على نحو يُنبئ بقوة عوامل القمع والإحباط عليه .

والجواهري الذي استحوذت الغربة على شطر كبير من حياته عادت عليه تلك الغربة بشعر وافر وفن رفيع منبثقين من تجربة صادقة، ووجدان متوقد، تلك التجربة التي تجاوزت أبعاد النفس إلى أطراف أخرى متمثلة بالوطن والأهل والصحب وحتى الخصوم وغيرهم، وهؤلاء جميعهم يسهمون في خلق تجربة الفراق والغربة، وهؤلاء هم البنى الأساسية المحركة لشعره والمتحركة فيه.

لغربة الجواهري قصة طويلة يحكيها بنفسه من خلال شعره الذي يمكن درجه في محاور خمسة أساسية هي: موجبات الغربة، والحنين والذكرى، واللوم والشكوى، وحلم العودة، وتلاشي الحلم.

1ـ موجبات الغربة:

تجد بين الناس من يضطر ـ تحت طائلة الفقر ـ إلى أن ينزح عن الوطن، ويولي وجهه نحو ديار الغربة فيضرب في أرضها ساعياً بلهفة وراء حاجته، وباحثاً بحرقة عن مخرج

---

[1] - جملة استثنائية (مجلة الثقافة الجديدة): 57.

للعيش الذي ينوء بأثقاله، ترى هل وقع الجواهري تحت هذا التأثير فتوسل بالغربة واستقوى بها؟ أقول: أما الفقر فقد عانى منه الكثير، وكانت له عليه وطأة، بيد أنه لم يتخذ الفقر ذريعة للغربة، ولم يكن من أولئك الذين يلهثون وراء المال، أو يجدون في طلبه، ولو كان من أولئك لحاز منه الكثير، ونمت له فيه ثروة لمجرد أن يسكت، أو يساير، أو يداهن، ثم إنه من بلد يتدفق عطاءً، وهو ابن دجلة التي تنشر الخير العميم، وتفيض بالمنافع الكثار، وها هو يقول بأفصح الكلم:

دمشقُ: لم يأتِ بي عيش أضيق به — فضرعُ دجلةَ لو مسّحتُ درّارُ[1]

بهذا القول يخاطب دمشق حاضرة سوريا وبمثله يخاطب بيروت حاضرة لبنان تبرئة لنفس أبية، ودفعاً لسوء مظنة إذ يقول :

أنا ـ بيروتُ ـ إنْ طَلَبْتُ مَحَطّاً — عِنْدَ أَهْلِي فَلَسْتُ أَطْلُبُ رِفْدَا

غيركِ الثاملونَ منّي فرندا — فَلْتكوني غِمْداً يَضُمّ الفِرَنْدَا[2]

إذن لم يكن الفقر بحاديه إلى الغربة، فهل كان نيل الجاه أو الشهرة في المغترب المبتغى الذي إليه يسعى، والضالة التي إليها كان يمضي؟ هذا تساؤل لو حمل إلى شعر الجواهري لجاء الرد عليه بالنفي أيضاً، ولسان حاله يقول :

ومـــا أنا طالبٌ مالاً لأني — هنـــالك تاركٌ مالاً وآلا

ولا جاهاً فعندي منه إرثٌ — تليدٌ لا كجاههمُ انتحالا[3]

ورب امرئٍ يرى أن الجواهري شاعر، وقول الشاعر لا يقوم حجة له فيما يدعيه من المجد التليد والنسب الأثيل، وهل لدى الجواهري ما يؤيد ادعاءه، ويرسي صحة زعمه؟ أجل له ذلك، وآية ذلك أنه (قد تحدر عن أسرة عريقة في العلم والأدب والشعر، اكتسبت شهرتها من باني مجدها العلمي الشيخ محمد حسن صاحب كتاب (جواهر الكلام) وكان لهذه الأسرة

---

(1) - ديوانه:274/4.

(2) - ديوانه:267/5.

(3) - ديوانه:182/6.

كما لباقي الأسر الكبيرة في النجف مجلس عامر بالأدب والأدباء يرتاده كبار الشخصيات الأدبية والعلمية)[1].

لم يكن الجواهري من المغرمين بالمال أو الحريصين عليه ليشد الرحال إلى بلاد الغربة للكسب، ولم يكن مغمور النسب خامل الذكر في أهله ليسأل عن النباهة قي غير أهله، أقول: لا هذا ولا ذاك، وإنما شيءٌ ثالث قد حمله على النأي، وهو بكل بساطة حبه للوطن ومناهضته للذل والرداءة، إنه يغادر البلاد مضطراً مرغماً:

يا دجلةَ الخيرِ يا نبعاً أُفارقُـهُ　　　على الكراهةِ بين الحينِ والحينِ[2]

وإلا فإن حبه للوطن راسخ في سويدائه كما يترسخ الدين في فكر المرء ونفسه وهو لهذا يقول:

جـدِّدي ذكرَ بـلادي إنني　　　بهواهـا أبـــــدَ الـدهرِ رهينُ

أنا لي دينانِ دينٌ جـامـعٌ　　　وعـراقي وغرامي فيه دينُ[3]

وهو بسبب هذا التعلق الحميم بالوطن يؤثر أن تنزع منه الكبد قبل مفارقته إياه :

خذوا كبدي قبل الفراق فإنـها　　　مـعوّدةٌ أن لا تقرَّ على النَّزْحِ[4]

إنه مسكون بحب الوطن ولا يمكن لمثله أن يتخلى عن هذا الحب سواء أكان مقيماً في ربوعه أو مشرداً نازحاً عنه، فحبه في الحالتين سيان، وهو لهذا ساجد للوطن على كل حال، ومؤد طقوس التقديس والولاء:

يا تـربةً نـهفو إليـ　　　ـها كـالإلهِ ونسجـدُ

ونحـبها حـتى ونحـ　　　ـنُ مـطاردٌ و مشرّدُ[5]

---

(1) - مقدمة الديوان: 15.

(2) - ديوانه: 83/5 .

(3) - ديوانه: 270/1 ـ 271 .

(4) - ديوانه: 209/1 .

(5) - ديوانه: 94/6 .

فالحب الكبير تسهل من أجله الصعاب، وتصغر إزاء رفعته المتاعب والأهوال، وإن الاستبدال المكاني لا يوهن من سلطان هذا الحب، ولا يخمد جذوته، لأن خارطة الوطن يرسمها القلب بما فيه من الحب، فالوطن يكون حيث ينبض بحبه القلب لا حيث ينتقل الجسد، وعلى هذا محال ـ عند الجواهري ـ أن يكون البلد المنزوح إليه بديلاً عن بلده المنزوح عنه:

ولستُ ببائعٍ أرضي بأرضٍ وإن لم ألقَ فيها ما يسرُّ

ومن لم يرضَ موطنه مقرّاً من الدنيا فليس له مقرُّ[1]

فلا بلاد تسد مسد بلاده، فهي في القلب والضمير لكن الظلم الذي يسودها، والكبت الذي يخيم عليها يأباهما فكر الشاعر الداعي إلى الحرية والعدل، وما غربته إلا عاقبة من عواقب تلك الأفكار، وما هو إلا ضحية من ضحايا الاستبداد الجائر:

أنا من تلكم الضحايا رمتْ بي فكرةٌ حرّةٌ وراء الحدودِ

لم أُطِقْ كتمها وأعلم كلَّ الـ ـعلم أنّي بها أحزُّ وريدي[2]

فالشاعر الحر حين يكبل بأغلال العبودية يضيق بالوطن ذرعاً حتى يستحيل وطنه في مثل هذه الحال سجناً يزج فيه من لا جريرة له سوى العُلى والرفعة:

كأنّ بلاد الحرِّ سجنٌ لمجرمٍ وما جُرْمُهُ إلاّ العُلى والترفّعُ[3]

وليس من شيم العزيز الأبي أن يرضى بالذل أو أن يبيت على الضيم ولو كان الأمر غير ذلك لهان احتماله والصبر عليه، أما المذلة فلا يرضخ لها إلا الخانع الوضيع:

يُطاقُ تقلُّبُ الأيّامِ فينا وأما أن نذلّ فلا يُطاقُ[4]

---

(1) - ديوانه: 387/1 .

(2) - ديوانه: 75/5 .

(3) - ديوانه: 112/1 .

(4) - ديوانه: 343/1 .

ولا ينكل العزيز عن رفض الذل ما يقدم له من إغراءٍ ويوفر له من أسباب الترف والدعة وهو لهذا يؤثر الغربة وسوء الحال على البقاء في الوطن مسلوب الإرادة محفوفاً بالذل:

و اللـه لـــو أُوهَبُ الـدنيا بأَجمعها ما بِعتُ عـــزي بذلّ المُترف البطِرِ

قـالوا يظنون بي شيئاً من الصِغَرِ فقلتُ فيهم وبي شيءٌ من الصَّعَرِ[1]

وهنا يحتدم التنازع في داخله بين أن يستجيب لهوى نفسه التي تلح عليه في البقاء بين أكناف الوطن أو أن يستجيب لداعي الإباء فيغادر الوطن ليعيش بعيداً عنه ملتاع القلب طعين النفس ولكن بقامة شامخة وهامة مرفوعة، فالصراع الناشب في نفسه والمعبر عنه بالتضاد (يجاذب قلبي، ويأبى المقام) يتمخض عنه في النهاية الانتصار للشموخ والانحياز للإباء مع الإبقاء على محبة الوطن وإن كان ذلك في المغترب :

أُحـب بــلاديَ لـو لـم أخَـفْ بـهــا شرَّ ذي الغدرة الأشـرسِ

يـجاذب قـلبـي إليـها الـهوى ويـأبـــى الـمقام بـها مَـعْـطِسي

جَـفَوني و لا ذنـب إلا الإبـاءُ وإن طـاب من بينهم مغرسي[2]

فلا مناص من الغربة في ظل وطن يستحوذ عليه الذل، بيد أنه سيبقى الأمل المرتجى الذي بتحقيقه يلتئم الشمل المشتت والملتقى الحبيب الذي على أديمه يوافي المرء مفارقيه من أهل وخلان:

مَـنْ لناءٍ عاف أهـلاً و صـحـابـاً و ديـارا

تـَخِذَ الغـربـة داراً إذ رأى الـذلّ إسـارا[3]

ويتوفر الجـواهري على رسم صورة لواقع بلاده هذا الواقع الذي يحمل أبناء البلاد حملاً على الرحيل، والصورة كما تعبر عن نفسها قاتمة مؤلمة تبعث على الأسى والحزن، فالصالحون في البلاد غرباء عنها، والسراق فيها ناشطون، والأشرار على تقويض أركانها

---

(1) - ديوانه: 322/5 .

(2) - ديوانه: 136/1 .

(3) - ديوانه: 195/5 .

منهمكون، فقد غدت هذه البلاد مرتعاً خصباً لأولي الرجس والدناءة، وعذاباً جاحماً لذوي الطهر والفضل، طائفة كبيرة من الصور أو صورة كبيرة تكثر فيها التفاصيل عبر إيراد الشيء وما يقاطعه أو بالأحرى عبر صدم الفاضل الغائب الذي يطلب بالمرذول السائد الذي يشجب، فالبلاد للسراق والصالحون فيها محرومون، وهي جنة للرجس وعذاب للزاكي، وخيارهم بها خطأ والأرذلون صواب، ويستوطنها البغاث (رمز الهوان والضعف)، ولا مكان فيها للنسور (رمز الشموخ والسمو) والجواهري لا تطاوعه نفسه على التكيف مع هذا الواقع المتردي، أو الاندماج فيه فيؤول به الأمر إلى تسفيهه والتمرد عليه، فينفر منه بالغربة:

ولكنني آسٍ لنهـــــبٍ مقسَّمٍ وليس بـــــه للصالحينَ نصابُ

وبيتٍ لسُرَّاقٍ تلوذُ بـــــركنهِ سباقٌ علـــى تهديمِهِ وغلابُ

مجافية أحكامه فهْوَ جنَّـــــةٌ لرجْسٍ وللزاكي لظىً وعذابُ

ومعكوسة حتى كأنّ خيـــاره به خطأٌ .. والأرذلون صوابُ

أطاحَتْ بأعشاشِ النسور بغاثُهُ وحلَّ به خيرَ الوكورِ غرابُ[1]

ولكن أيعذر الجواهري على هذا الإيثار إيثار الغربة على البقاء في أرض الوطن، ألا يعاب على ذلك؟ يرى الجواهري أن لا عيب في ذلك ما دام المرء يأبى مجاورة الإسفاف، ونفسه تربأ عن معاشرة المسفين:

يا غريبَ الدارِ يا مَنْ ضَرَبَ البيدَ قمارا

ليسَ عاراً أن تُوَلِّي مِنْ مُسِفِّينَ فِرارا[2]

بيد أن الفرار قد وقع في أعقاب مواجهات جريئة ،وتحديات صعبة لهؤلاء المسفين الأراذل، فهو لم يغازل هؤلاء ولم يذعن لهم حتى في أوان ضعفه وقلة نصرائه:

يا سبوحاً عانقَ المو جَةَ مدّاً وانحسارا

لم يُغازلْ ساحلاً منـ ـها ولا خاف الفرارا[1]

---

(1) - ديوانه: 183/4 .

(2) - ديوانه: 201/5 .

إن هذه النصوص برمتها تؤكد أن برم الشاعر بسوء الأوضاع والعوامل الضاغطة قد ألجأه إلى النأي عن الديار والأهل والصحب ولكن على مضض منه .

2 ـ الحنين والذكرى :

الوطن معنى قبل أن يكون شكلاً ترابياً مرسوماً بحدود ومقيداً بأبعاد، ويأتيه هذا المعنى من العاطفة الإنسانية الجياشة التي يحملها المرء تجاهه عبر تأريخ طويل من الذكريات والمواقف والعلاقات والأحداث تترسخ في الوجدان وتتوحد معه ولهذا بين لفظتي الوطن والحنين تقارب شديد وارتباط وثـيق فـقد نص اللغويون على أن حـنين الإبل يعني نزوعها إلى أوطانها وأولادها وكذلك الإنسان[2].

إن أي فعل قسري يحمل الإنسان على النزوح عن الوطن هو فعل يراد به تهشيم الرابط الوجداني المندغم بواقعه المكاني المتمثل بأرض الوطن وفي ذلك من الإيذاء النفسي ما لا يطاق، ومن هنا قرن القرآن الكريم الخروج أو الإخراج من الديار بالقتل وعده نظيراً مساوياً للموت مصوراً عاطفة حب الوطن على أحسن ما يكون التصوير في قوله تعالى: ﴿**وَلَوْ أَنَّا كَتَبْنَا عَلَيْهِمْ أَنِ اقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ أَوِ اخْرُجُوا مِنْ دِيَارِكُمْ مَا فَعَلُوهُ إلاّ قَلِيلٌ مِنْهُمْ**﴾[3]. فالجواهري الذي ذاق مرارة الغربة يثور في نفسه حنين طاغٍ إلى بلده الذي فارق فيه أهلاً كراماً وصحباً أخياراً عذبت بوجودهم أمواه دجلة والفرات ولولاهم لكان النهران ـ عنده ـ في جملة الأنهار الأخرى التي تشق مجاريها في الأرضين:

لـي في العراقِ عصابةٌ لولاهُـمُ ... مــــــا كـان مـحبوبـاً إلـيَّ عِـراقُ
لا دجلــــــةٌ لولاهُـمُ وهِـيَ الـتي ... عَـذُبَتْ تروق ولا الفرات يُذاقُ[4]

ويحظى عهد الشبيبة بالنصيب الأوفر من محفزات الحنين إلى الوطن، لأنه العهد الأبهى الذي دلف ولم يعد بالإمكان استرجاعه، أو تكرار إيقاعه العذب :

بلادٌ بـها استـعذبتُ ماءَ شبيبتي ... هوىً ولبستُ العِـزَّ بُـرداً على بـردِ

---

(1) - ديوانه: 196/5 .

(2) - ينظر جمهرة اللغة:64/1،وتهذيب اللغة:443/3، والحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأُموي: 12

(3) - سورة النساء، الآية: 66 .

(4) - ديوانه: 360/1 .

وصلتُ بها عمرَ الشبابِ وشَرْخَهُ بـذكرٍ على قُربٍ وشـوقٍ على بعـدِ

بـــــذلتُ لـها حقَّ الـوداد رعايةً و ما حفظ الوُدَّ المقيمَ سوى الـوُدِّ [1]

والجواهري يحن إلى الوطن على كل حال غير آبهٍ بما لقي فيه من عنت ونكد، فهو همه المحمول في خافقه وبشوقه إليه يمحو من نفسه كل مشاعر الجفاء نحوه ويتحرر من عواطفه السلبية إزاءه وإن غبن فيه:

ما إن تزالُ على ما ذُقْتُ من غُصَصٍ لديك من صلب حاجاتي ومن وَطَرِي

حملتُ هـمَّك فـــــي جنبيَّ أصهرُهُ في لاعـــــجٍ بوقـيد الشوق منصَهِرِ [2]

ويبقى البعد المكاني في حيال العاطفة المتوثبة قصير المدى إذ تتسع مساحة الوطن ـ بالوجدان ـ أكثر من رقعته المكانية (الجغرافية) حتى يستحيل خارج الوطن وطناً بالعاطفة والوجدان:

لا تَـحسبوا أنَّ بُعدَ الدارِ يُذهلني عنكم ولا قِصَرَ الأيّـامِ يُـنسيني [3]

وإذا كان البعد عاجزاً عن إيقاف دفق الحنين فيه إلى الوطن فإن يسر الحال في البعد غير قادر على إلهائه عن الحنين إليه، والشاعر يعرب عن هذا الحنين اللاهب من خلال صورة أرساها على التضاد أو التقابل بين المسافات وتباين الأحوال (البعد والقرب (بلادي)) و(ما سرَّني، وأشهى إليَّ) و(حال تحسنت، وساءت الحال) فالشاعر هنا يدع ما يراد ويُشتهى (المسرة وحسن الحال) ويقبل على ما يُعاف ويُجتنب (الترح وسوء الحال) وهو في قبوله هذا ورفضه ذاك مدفوع بالحب الذي يزين له صورة الوطن ويجعله دوماً الأجمل والأحسن والأعلى وعلى وفق ذلك لا يجد جمالاً في المسرة بعيداً عن الوطن لأن تلك المسرة مقصورة عليه وتمثل حالة فردية، والجمال ـ عنده ـ إنما يكون بشمل مجموع على أديم الوطن المنزوح عنه :

وما سرَّني فـي البُعدِ حالٌ تحسَّنتْ بلاديَ أشهى لي وإن سـاءتِ الحالُ

---

[1] - ديوانه: 197/1 .

[2] - ديوانه: 319/5 .

[3] - ديوانه: 232/1 .

فمن شاقَهُ بَرْدُ النعيمِ بفارسٍ فإنِّي إلى حرِّ العراقين ميَّالُ

أحِنُّ إلى أرض العراقِ ويعتلي فؤادي خفوقٌ مثلما تخفق الآلُ [1]

وللحنين عند الجواهري مظاهر تبدو في سلوكه ومزاجه ترى بعضاً منها في شوقه المتوقد إلى الوطن أرضاً وأبناءً، بيد أنه لا يرى جدوى من هذا الشوق لأنه لا يقوده إلى ضالته ولا ينيله مناه في العودة، ولكن مقدر عليه أن يشتاق:

سَهرتُ وطال شوقي للعراقِ وهل يدنو بعيدٌ باشتياقِ

وهل يُدنيك أنك غيرُ سالٍ هواك وأن جفنك غير راقِ [2]

وشوق الشاعر يموج في داخله ولا إرادة له على كبحه، ووسائله تقصر دون إخماد جذوته، فلا تعينه على إطفاء الشوق خمر يهرب إليها، ولا لحن يلوذ به :

يا سامرَ الحيِّ بي شوقٌ يرمِّضني إلى اللِّداتِ إلى النجوى إلى السَّمَرِ

يا سامرَ الحيِّ بي داءٌ من الضجرِ عاصاه حتى رنين الكأسِ والوترِ [3]

ويبدو السهر المؤرق مظهراً من مظاهر شوقه الغامر الذي يفضي به في نهاية المطاف إلى الحزن المفرط الذي يمنع عن عينيه التغميض، ويستل من نفسه الطمأنينة، وقد أبان الشاعر عن هذا الواقع النفسي المأزوم في صورة محسوسة إذْ شبه نفسه بالضجيع على النار الذي لا يقر له قرار، ويتقلب على ناره أملاً في مخرج يريحه من عذابها، لكنها النار على كل حال وما التقلب إلا الإقبال على مزيد من الألم، أو على ألم جديد :

وبتُّ بليلٍ لفرط الأسى كليل الضجيعِ على نارِهِ

وظلَّ يحنُّ فؤاد المشوقِ لذكرِ الحبيبِ وأخبارِهِ [4]

وبضغط من هذا الحنين أو الشوق الموصول الذي لايبرحه ليل نهار، ولا تنبثق عنه بارقة أمل تؤذن بالعودة أو بقرب العودة إلى الوطن، يجد في البكاء وتسكاب الدموع البؤرة

---

(1) - ديوانه: 266_265/1 .

(2) - ديوانه: 271/5 .

(3) - ديوانه: 314/5 .

(4) - ديوانه: 178/1، وينظر: 271/5 .

الأثيرة التي يستريح عندها هنيهة ليجمع بها شتات قلب مبعثر الأوصال ليستأنف بعدها رحلة الحنين والشوق ثانية:

أحبايَ بين الرافدين تيقَّنوا ... بأنِّي وإنْ أُبعِدْتُ عنكم لَسَآلُ
لَئِنْ راقكم ماءُ الفراتِ وظُلِّلَتْ ... عليكم من الصفصافِ والنخلِ أَظلالُ
فإنِيَ من دمعٍ عليكم أذيلُهُ ... شروبٌ و من سوداءِ قلبيَ أَكّالُ
لقد كان هذا القلبُ في القربِ مُضْغةً ... وها هو من بعد الأحبَّةِ أوصالُ[1]

فالشاعر قد عظم حنينه، وطال انتظاره ولكن أبواب الوطن ظلت موصدة في وجهه، ولم يبقَ في كنانة الشاعر سوى ممكن واحد يخف إليه ويتوسل به وهو أن يبعث عبر الأسوار بسلامه الذي قُدَّ من لهب وصِيغَ من شعل:

سلاماً كُلُّهُ قُبَلُ ... كأنَّ صميمَها شُعَلُ
وشوقاً من غريبِ الدا ... رِ أعيتْ دونهُ السُّبُلُ
مقيمٌ حيثُ يضطربُ الـ ... ـمُنى والسَّعْيُ و الفَشَلُ[2]

والجواهري المبتلى بالغربة في حاضره يغادر هذا الحاضر ليعيش في الماضي السعيد ويهنأ به (فالماضي منطقة مريحة يستعين بها الخائب للتعويض عن حاضره المسحوق وإحباطاته المتكررة حيث يجد فيه نوعاً من الهناء والراحة النفسية)[3] ومن أجل ذلك يهش ـ في الغالب ـ للذكريات التي يحمل ذهنه منها خزيناً ثرياً يستحضر منه ما يمكن استحضاره بتلذذ جم وحب كبير فهو يتذكر الأمكنة التي شهدت ملاعب صباه على الفرات وفي الكوفة وغيرهما ويعد ذكرياته فيها من أبهج ما نال وسجل:

ويا ملاعبَ أترابي بمُنعطفٍ ... من الفُرات إلى كوفانَ فالجُزُرِ
فالجِسْرُ عن جانبَيْهِ خفقُ أشرعةٍ ... رفّافةٍ في أعالي الجوِّ كالطُّرَرِ

---

(1) - ديوانه: 266/1 .

(2) - ديوانه: 238/5 .

(3) - المرثاة الغزلية في الشعر العربي: 9، وينظر الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام: 249.

يا أهنأَ السَّاعِ في دنيايَ أجـمعِـها إذا عـددتُ الهنيءَ الحُلوَ من عُـمُري[1]

وتعود به الذاكرة إلى بيته على دجلة في جانب الكرخ الذي أمضى فيه زمناً حميداً حلا فيه المقام واجتمع فيه الشمل وتتابع فيه إنتاج القصيد:

ويـــا مَـقيلاً على غربـيِّها أبـداً ذكراه تعطـف من عودي وتلويني

عشُّ الأهازيجِ من سجعي يُردِّدُها سَجْعُ الحمام وترجيعُ الطواحينِ[2]

إن ذلك الفرح الذي أقامته العائلة باجتماع أفرادها في الماضي عاد اليوم ذكرى ولم يعد ممكناً في المنفى أو الشتات، وليس للشاعر إلا أن يجترها مستعذباً إياها ولكن مُشرَّبة بغير قليل من الحزن:

خـليليَّ أشجى ما يُـنَغِّصُ لذَّتي مناحٌ أقامـته عيـالٌ وأطفالُ[3]

ودجلة التي تغنى بها الجواهري عن قرب وعن بعد بأعذب الألحان، وأرشق الكلم حيل بينه وبينها في إثر صحبة طويلة، وهو لهذا تهيج ذكرياته كلما ذكرت دجلة، وهو إذْ يتذكرها إنما يتذكر العراق برمته، وذكريات الجواهري في عراقه كثيرة ليس من السهل على القلب احتمال هياجها إذا ما لمعت تلك الذكريات على صفحة الذاكرة:

نأتْ دجلةٌ عنّي وبانتْ ضفافهـا وأُبْعِدَ ذاك الروضُ ذو المنبتِ الأحـوى

فوالله ما أَقوى على ما تَهِيجُــهُ لقلبي من الذكرى ويا ليتني أقـوى[4]

وتبدو حاجة الشاعر ماسة ـ في مغتربه ـ إلى هذه الذكريات، فالحاضر في نظره (لا يمثل إلا اتضاعاً مرعباً ممجوجاً لا تنكشف جوهريته إلا عبر صدمة بالماضي المشرق)[5].

وآية ذلك أنه يقسمها طائفتين (جامحة) تستعصي على الذاكرة فتثير في الشاعر الشكوى المرة لأنها تمانع ولا تعين على البلوى فيميل عنها إلى طائفة أخرى (سمحة بر)

---

[1] - ديوانه: 316/5 ـ 317 .

[2] - ديوانه: 103/5ـ104. غربيها: غرب دجلة .

[3] - ديوانه: 265/1.

[4] - ديوانه: 284/1 .

[5] - مقالات في الشعر الجاهلي: 120 .

مطواعة تستجيب لدواعي الذاكرة فتزيل الشكوى، وتهوّن الاضطراب، وتلبي حاجة النفس اللائذة بظلال الماضي المحمودة أخباره، فهو يقول :

ويا صدى ذكرياتٍ يَسْتَثِرْنَ دمي بهِزَّةٍ جمَّةِ الألوانِ تعروني
أشكو المرارةَ من إعناتِ جامحةٍ منها إلى سمحةٍ بَرٍّ فتُشكيني
مثل الضرائرِ هذي لا تُطاوعني فأستريحُ إلى هذي فتُؤويني[(1)]

والذكريات التي أودعها الشاعر في ثنايا الماضي مع صحبه في الوطن ما زالت مؤثرة تأثيراً إيجابياً في أولئك الصحب والأقران المنتشرين خارجه، فهي تجمع شتاتهم، وتقوي الآصرة بينهم على الرغم من النأي عن الوطن والتشرد في المطارح:

يا أُمَّ سَعْدٍ إن تناءتْ دارنا فالذكرياتُ بيننا تُقرِّبُ[(2)]

إن (الشاعر يسترجع الذكريات ويعيش أحداثها، ويقحم على الحاضر أجواءً من الماضي الذاهب... لكنه لا يود أن يطويها في ذلك الماضي، لأنها معين لا ينضب من مضامين وموضوعات وإيحاءات)[(3)]، وبهذا يتجلى واضحاً أن الحنين إلى الوطن واسترجاع ذكريات الماضي السعيد كانا شاغلين مهمين من شواغل الجواهري الغريب.

3 ـ اللوم والشكوى :

كان وقع الغربة على الشاعر ممضاً وأشد مضاضة منه حين رأى أن الوطن بما فيه من صحب ورفاق ومثقفين آثروا الصمت المطبق تجاهه أوان محنته فأنحى عليهم باللائمة المرة، ولِمَ لا يلوم؟ أمثله يُنسى ويُعرض عنه وقد طار صيته في الآفاق، وتباهت به المحافل؟

أيُنكر إلفتي حتى صحابي وتنبو الأرضُ بي حتى بلادي
ومن عَجَبٍ تضيِّعُني وذكري تُردِّدُهُ المحافل والنوادي

---

(1) - ديوانه: 102/5 .

(2) - ديوانه: 250/5. وأم سعد هي الدكتورة سعاد خضر زوج الدكتور صلاح خالص .

(3) - الشعر والزمن: 76 .

أيـدري من يُـردِّدُها حِسـاناً خـلاءً مـن زِحـافٍ أو سِنـادِ
بأن الشعرَ تشربُ من عُـيُـوني قوافيـهِ وتأكُـلُ من فـؤادي[1]

لام الشاعر أحبابه وهم أولى باللوم لأن المحبة الحقة توجب عليهم التواصل مع بعض، لكنهم أغفلوا أمره، وشغلوا عنه حتى أنهم لا يكلفون أنفسهم عناء كتابة الرسائل إليه، ويؤكد الشاعر إمعانهم في إغفاله باستعمال لفظة (مختصر) فقد عزَّ عليهم أن يمنحوه من وقتهم حتى ما ضؤل منه أو قصر:

يــــا أحـبايَ ومـا أصبرَكُـمْ أحـسنُ الأحبـابِ من لم يصبِرِ
طـال إسهابـي وما أشوقَـني لـكتــــــابٍ منكُمُ مُخْـتصرِ
كم أرى منـتظراً و عدكُـمُ ثَـقُـلَ الوعــــدُ على المنتظِرِ[2]

كان الشاعر في مغتربه ببراغ مكرماً موفور العزة لكنه ظل مفعماً بإحساسات الكدر والنأي، وكان يؤلمه أن يرى الأنذال والأشرار في بلده مقدمين مكرمين وذوي المواهب الخلاقة تتقاذف بهم رياح التشرد وبسبب هذا الميزان المختل يرسل اللوم إلى بلاده والأقربين ولا بد أن يأتي شديداً إذْ يقول:

أنــــا في عـزَّةٍ هنـا غـيرَ أنّـي فـي فؤادي ينـزُّ جرحُ الشريـدِ
لي عـتابٌ على بلادي شديدٌ وعلى الأقـــربـينَ جـدُّ شديـدِ
أَفـصقــــــرٌ طريـدةٌ لغرابٍ ونـبــــيغٌ ضحيّةٌ لبَليـدِ[3]

ويحمِّلُ القومَ مسؤولية تأريخية كبيرة إزاء هذا الجحود الذي يلقاه منهم وسيبقى هذا الجحود متواتر الذكر جيلاً في إثر جيل مروياً من تأريخ يحكي قصة طريد أيّ طريد:

يا لبغدادَ حينَ ينـتصفُ التـأ ريـخُ من كلِّ ناكرٍ و جـحودِ
يا لها إذْ يُقالُ كان على العقـ ـمِ لـديها مـا لم يكُنْ لوَلودِ

[1] - ديوانه: 402/1 .
[2] - ديوانه: 354/1 .
[3] - ديوانه: 76/5 .

جَحَدَتْـهُ فـعاشَ أيّ ضنيكٍ ورمَـتْـهُ فعاشَ أيّ طـريدِ[1]

ويوجه اللوم عنيفاً إلى اتحاد الأدباء العراقيين لكونهم الشريحة التي يفترض فيها أن تعي دورها في المسؤولية، فلا يجب أن تسكت على ضيم حرٍّ وترضى بجحود نبيغ عرفوه عن كثب، لكن الذي حصل أنهم أساءوا إليه أيما إساءة حينما انفضوا من حوله في الظرف العصيب الذي يطلب فيه الأنصار ويرتجى لمواجهته الأعوان، وقد نعت الشاعر صمت هؤلاء الأدباء بصمت القبور بقصد إخراجهم من عداد الأحياء إلى عالم الأموات الميؤس منه والمخيب لآمله:

واستطابوا صمتَ القبورِ وهـانَ الـثُّـ ـكْلُ فيهـــــم بالصـادح الغِـرِّيدِ

وكأَنْ لم يـرفـعْ مـنــــــــارَ القـصـيدِ وكـأَنْ لم يكــــنْ محَـجَّ الـوُفـودِ

ملأوا الأرْضَ حينَ عــادى ذوي الحُكْـ ـمِ وذابوا من حولِهِ حينَ عودي[2]

وعلى هذه الشاكلة يواظب أعداء الشاعر على الإسراف في خصومته والشماتة به والتندر بآلامه ورفاقه سكوت سكوت لا تصدر عنهم نأمة رفض أو زفرة احتجاج، ولهذا جعلهم موضع لومه قائلاً:

أغـمْزاً فـي قناتِيَ من عُداةٍ تناهَـشُني وصمتاً مـن رفاقي

ولَهْواً في التَنَـدُّرِ من جراحي تَلَهِّي الطِّفلِ بالكسرِ الدِّقاقِ[3]

ورداً على الموقف السلبي للرفاق المتخاذلين ينقل الشاعر رحى اللوم إلى ساحته فيلوم نفسه التي أركبها كل صعب، وشق بها كلَّ وعر، ولم يجنِ من ذلك كله سوى الحنظل المر واللؤم المقيت، ويتمنى لو لم يفعل ما فعل، ولم يقدم على ما أقدم عليه من أجل رهط مات فيهم الإحساس، وأمحل عندهم الوجدان فأذعنوا للقبح ورضوا بالمذمة:

ماذا صنعتُ بنفسي قد أحَقْتُ بـها ما لم يُحِقْـهُ بـ(روما) عسْفُ نيرونِ

ألزمْتُها الـجدَّ حيثُ الناسُ هازلـَةٌ والهَـزْلَ في موقـفٍ بالجدِّ مـقْرونِ

---

[1] - ديوانه: 76/5 ـ 77 .

[2] - ديوانه: 77/5 .

[3] - ديوانه: 273/5 .

وسُمْتُها الخسفَ أعدى ما تكونُ لـهُ   وأمـنعُ الخسـفَ حتى من يُعاديني
ورُحْتُ أظمي وأسقي من دمي زُمراً   راحتْ تُـسقِّي أخا لُـؤمٍ وتُظميني[1]

لكن الشاعر يعود إلى هدوئه بعد هذا السيل المتضافر من لوم الآخرين في بلاده فيلتمس لهؤلاء الملومين الأعذار وكأنه يحس في داخله أن لا جريرة لهم إنما هم في واقع أمرهم ضحايا لعوامل القهر التي كان الشاعر أحد ضحاياها وهم لهذا في حيرة من أمرهم، وحيرتهم مماثلة لحيرة الشاعر نفسِه وما دام الأمر كذلك فلا يبقى للوم ما يسوغه:

يا غريبَ الـدارِ في قـــــا   فلـةٍ ســــارتْ و سـارا
لـمصيرٍ واحـدٍ ثـــــــمَّ   تـنـــــاسـتْ أينَ صـارا
سـامِحِ القـــومَ انتـصافاً   واخْتلِقْ منـكَ اعتـذارا
علّـهمْ مثـــــــلكَ في مفْـ   ـتـــــرقِ الدّرْبِ حَيارى[2]

وحين رأى الجواهري أن الشوق قد طفح وأن الحنين قد بلغ الزبى واللوم قد تناثر هباءً أخذ يجأر بالشكوى المرة والحسرة الحرى من غربة طويـلة الأمد، ثقيلة الوقع، بـطيئة الخطى، وما الشكوى إلا (عاطفة أساسها الشعور بالحرمان ولعلها من أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة الناقمة، وتعكس أوجاع النفس في أشجانها وقنوطها وآلامها نتيجة التناقض أو الإحباط أو الضعف الذي يـواجهه الإنسان إزاء قـوة لا يـقدر عليها)[3] وقـد قـيل إن (الشكوى تخفف الهم وتزيل الألم)[4] فالجواهري يخاطب أحبابه في العراق شاكياً إليهم مرارة غربته القاسية قائلاً:

أحـبابنا بيـن مـحاني العراقْ   كلّـفْـتُمُ قـلبيَ ما لا يُـطاقْ
العيشُ مـرٌّ طعمُـهُ بعدكُـمْ   وكيف لا والبعدُ مُـرُّ المذاقْ[5]

---

[1] - ديوانه: 99/5 .
[2] - ديوانه: 203/5 .
[3] - الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: 4 .
[4] - محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: مج1 ج438/2 .
[5] - ديوانه: 255/1 .

ويـلغي الجواهري الفـروق بين الغربة والسجن ففي كليهما يتعرض المرء لسلب الإرادة وغياب الحرية:

يا بنَ وُدِّي وما بعيدٌ رهينُ الـ ـسِّـ ـجْـنِ عن رهنِ غُربةٍ مستمنٍّ

غـيرَ أنَّ الظروفَ يُبدينَ فرقاً رُبَّ قبـحٍ يعودُ مرآةَ حُسنِ[1]

كما يشكو من وحشة الغربة وأطيافها المرعبة التي تداهمه، وتضغط عليه في النوم حتى أنه ليود أن يبقى يقظان من غير نوم خشية أن تعاوده تلك الأطياف فتدخل على نفسه الرعب:

يا دجلةَ الخيرِ يا مَنْ ظلَّ طائِـفُها مِنْ كـلِّ ما جَلَتِ الأحـلامُ يُلهيني

لـــــو تعلمينَ بأطيافي ووحشَتِـها وَدِدْتِ مـثلي لَوَ انَّ النومَ يجفوني[2]

وتفرض عليه أوضاع الغربة أن يعيش وحيداً لا أنيس له سوى هوىً يحمله بين جنبيه لبلاده، ويدٍ تترجم عن نفسه المكلومة بالأشعار، وكأس يداوي بها همومه الثقال:

نحنُ السبايا (أربعٌ) فـي غربةٍ أنا والهوى ويدي وكأسُ شرابي[3]

والشاعر في جحيم هذه الوحدة يحس ـ شأنه في ذلك شأن الآخرين ـ أن الوقت يتثاقل عليه وأن الزمن يحيد عن سننه في الجري فتستحيل الأيام أشهراً والأشهر أعواماً:

مَنْ ذا يُصَدِّ قُ أنَّ يومي عِندها شهْـرٌ وشهريَ قيدهُـنَّ بعامِ[4]

لقد طال صبر الشاعر ولو كان في طول الاصطبار مخرج لأزمته لهان الأمر وزان التريث بيد أن الزمن يمضي والسوء يطغى والحقوق تهدر:

مَـنْ لـهمٍّ لا يُجارى ولآهــاتٍ حـيـارى

ولـمطويٍّ عـلى الجمـ ـرِ ســراراً وجـهارا

---

[1] - ديوانه: 234/5 .

[2] - ديوانه: 91/5، وينظر: 671/5 .

[3] - ديوانه: 157/6 .

[4] - ديوانه: 281/5 .

طـالباً ثـأراً لدى الدَّهْـ ـرِ الـذي يطلُبُ ثـارا

... ...

مَـنْ لستينَ انطوتْ مِثْـ ـلَ دَمِ الـعبدِ جُبارا[1]

ويتعمق فيه الأسى فيبث شكواه من هذه القسمة غير العادلة التي قضت أن تشاع البلاد لعقيم وسقيم، ويشرد منها موهوب ومضحٍ إرضاءً لحقد وانقياداً لمظنة، وكأنه يقول: (لِمَ أنا الجواهري أَحرم الأشياء؟ لِمَ لا يتهيأ لي منها ما يتهيأ لغيري! تقول: إنك شاعر نضال. وأقول: أحرام على شاعر النضال أن يعطى مناه؟ أن يعطى حقه في الحياة ؟ أن ينال ثمرة النضال كما نال الآخرون من ناضل منهم ومن لم يناضل، فإن كان نعيم فأين حظي فيه؟ وإن كان نضال فأين أرضيته؟)[2] وهو تحت تأثير هذا الحزن يقول:

أَ شـــــــداةٌ مشـرَّدونَ بلا وَكْـ ـنٍ وخُـرْسُ الطيور تأوي لوكْنِ

أَفنـحنُ الـمــزعزونَ عنِ التُرْ بـةِ تُـسْقى دماءَنـا كُـلَّ قـــرْنَ

بضحايا تـطيـحُ فـي كلِّ دربٍ وقـبورٍ تـصيـحُ في كـلِّ رُكْـــــنِ

أَفنـحنُ الـمُظعَّنونَ عــنِ الربْـ ـعِ ونـحن الـحمــــاة فيه لظَعْـنِ

أَفنـحن الذينَ يــرتـفعُ السَّـوْ طُ عـليهم بظِـنَّةِ الـمتظنّي؟[3]

كان الشاعر ينحاز إلى الخير وإليه يسعى، ويحث على التضحية وبها يغرم، بيد أن ذلك عاد بسوء العواقب عليه وتجييش المطاعن نحوه، أليس في هذه المفارقة العجيبة مبعث للحزن أو مدعاة للشكوى؟

تزرعُ الخيرَ راحتايَ وأجني الـ ـشَّـ ـوكَ والـــوخزَ والحـزازاتِ حصدا

وشـروراً نثـرتُ عفْواً هباءً وجنى الزهـرَ ناثرُ الشوكِ قصدا[4]

---

[1] - ديوانه: 195/5 .

[2] - وراء الأفق الأدبي: 192 .

[3] - ديوانه: 233/5 .

[4] - ديوانه: 266/5 .

لكن هذه الشكوى تخف صورتها عنده حينما ينتبه إلى أن ما يعانيه من ألم وعبء إن هو إلا لازمة وطنية تجاه بلده الحبيب، وإن الألـم العظيم مرهون بالرجل العظيم الذي لا يبالي بدم يُطل أو شموخ يطعن، أو غربة عليها يكره، واسوته في ذلك أبو الطيب المتنبي الذي أريق دمه وأبو تمام الطائي الذي مات وهو غريب الدار:

أبا الفرسان إن عفّتْ ديـــارٌ   عقـدتُ بها شبــابـي بالمـشيب

وذوَّبـتُ الضلوعَ على ثـراها   ولـمْ أطلُبْ بـها أجـــرَ المـذيبِ

فلا عَجَبٌ فـقبلي ضِقْـنَ ذرعاً   بـخـير الناسِ أحـمدَ والحبيبِ

فـذيّـاكَ اسـتبيحَ دماً وعِرْضاً   وذاكَ قـضى بـها نحبَ الغريبِ

... ...

أبا الفُـرسانِ لا عَجَبٌ فـــإنّـا   نُؤدِّي فِـدْيَةَ البلـــدِ الـحبيبِ[1]

فقد (تشبعت ذاكرة الشاعر بالرجال الذين وقفوا أبطالاً في عصر دفع فيه الجواهري دفعاً إلى اليأس والحلم، فقد كان هؤلاء جميعاً... شواطئه التي أمن فيها من ضياعه الطويل وباباً مضيئاً فتح على ليل غربته، ومتنفساً رائعاً، وحلماً يملؤه بحس الحرية، ويحميه من جحيم الطقوس)[2]، إذن لا وصول إلى الغايات العليا مع الضجر والبرم ولا بد من احتمال المشاق وامتطاء الصعاب لأن:

دِيَـةُ الثـائـرِ أن يَحْـ   ـتمِلَ النـقعَ الـمُثارا[3]

4 ـ حلم العودة :

إن الغريب المكره على الغربة يظل على صلة وجدانية قوية بوطنه، ولا يفارقه حلم العودة إليه، إذْ يتوقع تلك العودة في كل لحظة، وحلمه هذا (يمثل تسوية في الصراع بين

---

(1) - ديوانه: 260/5 .

(2) - من الغربة حتى وعي الغربة: 115 .

(3) - ديوانه: 198/5 .

الرغبة والواقع)[1] والجواهري كان يظن أن غربته ستنتهي وإن طالت، ولهذا كان يمني النفس بشمل مجتمع مع الأهل والصحب على ثرى الوطن قائلاً :

ألا هـــــل تعودُ الدارُ بعدَ تَشَـتُّـتٍ ويُـجمعُ هـذا الشملُ بعدَ تفـرُّقِ

وهل نـنـتشي ريحَ العراقِ وهل لنا سبيـلٌ إلى ماءِ الفراتِ المصفَّـقِ[2]

وليس تحقيق هذا الحلم بمستحيل، لأن الدنيا تحتمل الشيء وضده، وهي ليست محضة لحال دون حال، إنما هي في تقلب وتغيير وقد تعيد إصلاح ما أفسدت:

وأحـلامُنا مـنها صحيحٌ و كاذبٌ وأيّـامنـا منهُـنَّ مُـعْطٍ ومـانعُ

كما فـرَّقَ الشملَ المجمَّـعَ حادثٌ فقد يجمعُ الشملَ المفرَّقَ جامـعُ[3]

لكن الحلم معقود بالمستقبل والمستقبل غيب، ولا علم لأحد بكنهه، ومن هنا تكون خشية الشاعر مسوغة بجوار ذلك الحلم أو معه:

فـي أمـسِ كاليومِ حوانا منزلٌ مـنكِ لنـــا أهـلٌ بـه ومـرحبُ

راقَ بـه منـكِ الصفاءُ و النـــدى والسَّـمرُ الحُلـــوُ الشَّهيُّ الطيِّـبُ

فـهل ترينَـهُ غـداً يـجمعنـــــا أم نـحنُ مِنْ دونِ تلاقٍ نذهبُ[4]

يتمنى الشاعر العودة إلى الوطن ولا يهمه بعد ذلك كيف تكون الحال إن عاد، فسواء عنده الحياة أكانت في عيش رغيد أو في ضيق شديد:

أتـضمنينَ مَـقيلاً لـي سواسِـيَةً بـينَ الحشائـشِ أو بينَ الرَّياحينِ[5]

فالوطن على ضيق خير من سواه على سعة:

أَنّـى ثـوى ذو طِماحٍ فهْوَ مُغْتربٌ في دارةِ الشمسِ أو في هالةِ القَمَرِ[1]

---

(1) - علم النفس والأدب: 233 .

(2) - ديوانه: 257/1 .

(3) - ديوانه: 105/1 .

(4) - ديوانه: 250/5 .

(5) - ديوانه: 84/5 .

وما دام بلوغ الحلم غير مقرون بأجل مسمى، والانتظار قد يمتد ويطول فإن الصبر يصبح لازمة مهمة يُهَوِّنُ بها الخطب، ويوطد الخطو، ويقرب الأمل:

يــــا غريبَ الـدارِ لا تـأ سَ وإن ضِـقْتَ اصطبـارا
خُـلِـقَتْ عيناكَ كي تغْـ ـترفـــــا الـنومَ غِرارا[2]

وليكن للشاعر في صبر الآخرين أسوة له حتى يأتي اليوم الذي تزول فيه الغمة :

فـإن كُـتِبَ الفراقُ لنا فـصبراً على كـلِّ الورى كُـتِبَ الفراقُ[3]

فشدة البلوى لم تقدر على إطفاء إشراقة النفس فيه، أو أن تنزع تفاؤل الروح منه، فقلبه ما يزال ينبض بالأمل الزاهي، ووجدانه يتطلع إلى غدٍ مبهج، وقد أوحى بهذه المعاني قوله: (جنانه خضل) من بيته الثاني في قوله الآتي:

وحـيثُ يُـعاركُ البلوى فـتـلويـــــهِ ويـعْـتَـدِلُ
وحـيثُ أديـمُـهُ يَبَسٌ وحـيثُ جِنانُـهُ خَضِلُ[4]

وهو بوازع من هذا التفاؤل لم يتخذْ ديار الغربة إلاّ محطات إقامة مؤقتة، وما هو إلا ضيف فيها والضيف لا بد إلى أهله عائد :

رُحْتُ ضيفاً لأُمَّةٍ لـمْ تلِـدْني كنتُ فـيها الأعـزَّ أهلاً ووِلْداً[5]

فـيا ترى هـل تصدق تلك الرؤية، أو يتحقق ذلك الحلم أم يتبدد في غربة أبدية لا عودة منها لحالم؟.

5 ـ تلاشي الحلم:

إن الشمل المجمّع الذي كان يحلم به الشاعر، ويصبر على المكابدة من أجله كان حلماً جميلاً لكنه بدأ يتضاءل ويخبو رويداً رويداً، فالزمن يجري بلا توقف، والغاية تمتنع من غير هوادة، والنفس تسأم وقع الاجترار، والعمر يدلف إلى المنتهى، والموت يتربص من قرب:

---

(1) - ديوانه: 315/5 .
(2) - ديوانه: 197/5 .
(3) - ديوانه: 343/1 .
(4) - ديوانه: 238/5 .
(5) - ديوانه: 266/5 .

لـقدْ أسرى بـيَ الأجَـلُ وطـــولُ مـسيرةٍ مَـلَـلُ

وطـولُ مـسيرةٍ مـن دو نِ غـــاي مطمعٌ خَـجِـلُ

عـلـــى أنّـي ـ لأن يُـنهي غـدٌ طولَ السُّرى وَجِلُ[1]

واليأس الذي يرافق الكبر يعطل في المرء قواه، ويحيله إلى كيان فاتر لا يرجى منه ما كان يرجى منه في عهد الفتاء والقوة، إذْ لا رجاء مع اليأس، ولا أمل من غير سنيد قوي:

أَشـــاعَ اليأسَ بـي عُـمُـرٌ وكـنـتُ و كُـلُّـهُ أمـــلُ

وعُـمرُ الـمرءِ فـضلُ مُنىً بـها مـا شـقَّ يـحتمِـلُ

فــــإن ولَّـتْ فـلا ثِـقَـةٌ ولا حَـولٌ ولا قِـبَـلُ[2]

وما قيمة الأحلام ما دامت الوسائل إلى تحقيقها معدومة، والسبل إلى بلوغها متعذرة:

ألا هـل تـرجِـعُ الأحــــلا مُ مـــا كُـحِـلَـتْ به الـمُقَـلُ

وهـل يـنجابُ عـــــن عينـ ـيَّ لـيـلٌ مُـطبِـقٌ أزَلُ[3]

وبعد أشواط طويلة من الصراع مع النفس ومع الآخر ترسخت في ذهن الشاعر قناعة مؤدّاها إن الأقدار لا تُصارع، والعواصف الهائجة لا تواجه، وليس له إلا التسليم بواقع الأمر حين لا يتكافا طرفا الصراع شأنه في ذلك شأن النسور الكاسرة التي لا تقوى على تحدي العواصف فتخضع لها وتهبط إلى أعشاشها مضطرة مرغمة:

أنـاشدٌ أنتَ حتْـفاً صُنعَ مُنتـحرِ أم شابِـكٌ أنتَ مُـغترّاً يــــدَ القَـدَرِ

خَفِّضْ جناحَيكَ لا تـهزأْ بـعاصِفَةٍ طـوى لها النسرُ كَشْحَيهِ فلم يَطِرِ[4]

---

(1) - ديوانه: 237/5 .

(2) - ديوانه: 237/5 .

(3) - ديوانه: 237/5 .

(4) - ديوانه: 311/5 .

إذن لا جدوى من حياة يحياها المرء مقموع الإرادة مستلب القوة، يملي عليه القدر ما يشاء فيطيع، فالموت ـ إزاء ذلك ـ إليه أحمد، وهو لهذا يتمناه راضياً ويطلبه صادقاً لأن الأيام لم تجب له سؤله فهو يقول :

أنا ذا أطـلُبُ الـحِمامَ بِنفسٍ   لـم أخُنها وعـزْمَةٍ لـم تـخُنّي
لا لـشـــــيءٍ إلا لأنَّ الـمنايـا   في مصَكِّ الرّجالِ أعْـرَضْنَ عنّي[1]

إنه يجد الموت على مرارته حلواً إزاء عذاب الحياة، فيجعل ذلك الموت مطلباً عزيزاً والحياة كريهة إذْ يقول:

إليـكَ زماني خُـذْ حـياةً سئِمتُها   هـيَ السّـمُّ قي ذوب الحُشاشةِ ينقعُ[2]

فما أقرف الزمن الذي يُكره فيه الجواهري على تمني الموت بعد أن كان موتاً يلج البيوت على الطغاة ويطأ رؤوسهم فيها بشسع نعليه، مضى الجواهري لكنه سيظل بيننا ويبقى هو والوطن الذي أحبه وحلم بالعودة إليه صنوين لا يفترقان في ضمير كلِّ حي.

كانت الغربة عن الوطن فاجعة كبيرة أشعرت الجواهري بكثير من المرارة وكدر الحياة، لكنّها مكّنته في الوقت عينه من خلق خرائد جديدة من الأشعار تواشجت مع جياده السابقة لتصنع صفحة ناصعة من الخطاب الشعري الرفيع، **وقد أسفر النظر في نصوص الغربة عند الشاعر عن جملة حقائق يمكن إجمالها على النحو الآتي:**

1 ـ إن الدافع الأساس لغربة الجواهري هو فراره من واقع سيءٍ كان يضيق به ويتبرم، وقد حمله هذا الواقع حملاً على النأي عن الوطن ومفارقة الأهل والصحب .

2 ـ ظل الجواهري رغم الإساءة إليه شديد الصلة دائم الارتباط بوطنه، فقد ظلت عاطفته معقودة لهذا الوطن، وحافلة بحبه إذ كان يتغنى به عن بعد، ويحن إليه غاية الحنين ،ويتذكر أيامه السعيدة التي قضاها في ربوعه .

3 ـ كان الشاعر ـ من خلال نصوصه ـ كثير الاستياء من الموقف المتخاذل والصامت الذي لاذ به الكثيرون في بلده تجاه محنته في المغترب، فأنحى عليهم باللائمة المرة

---

[1] - ديوانه: 234/5 .

[2] - ديوانه: 112/1 .

لا سيما الأوساط المثقفة التي كان يجب عليها أن تبادر إلى قول الحق، والانحياز إلى الحقيقة فوجه إليها اللوم مثلما وجه إلى الأصدقاء وغيرهم، ولم يستثنِ من اللوم حتى نفسه.

4 ـ وإن كانت الشكوى المرة التي كان يبثها في غربته حصيلة آلامه وأوجاعه إلا أنها كانت في الوقت نفسه وسيلة من وسائله في تهوين الخطب وتخفيف تلك الآلام المعذبة .

5 ـ ليس بين نصوص الشاعر شيء يصرح أو يوحي ببرمه بأهل البلاد التي حل بها غريباً، إنما كان حسن الرأي فيهم، ويثني عليهم على ما قابلوه به من حفاوة وتكريم، لكن الشاعر لم يتخذْ حسن المقام ذريعة لطلب البديل عن الوطن فقد بقي الوطن هو الأشهى إليه .

6 ـ كان حلم العودة يراوده بقوة في سنيه الأولى، لكن هذا الحلم بدأ يتضاءل ويخفت كلما مرت السنون، وتتابعت الأيام، حتى أيقن أن العمر قد مضى، وأن الكِبَرَ قد علاه، وأن اليأس قد استفحل، فلم يعد بالإمكان تحقيق الحلم، لقد شارفت الحياة على النهاية، وبات الموت قريباً، فمات دون أن تكتحل عيناه برؤية الوطن الحلم .

الحزن في شعره

الحزن في شعره

صحيح إن الحزن عاطفة تشي بضعف الإنسان تجاه الآخر أو الآخرين في صراع غير متكافئ بيد أن هذه العاطفة تعد من اللوازم الطبيعية للإنسان بل إن الحياة نفسها شركة بين الفرح والحزن فلا حياة مقامة على حزن محض ولا حياة مقامة على فرح محض وكأن الإحساس بأحدهما شرط في الإحساس بالآخر، أو أنّ وجود أحدهما مرهون بوجود نقيضه.

والجواهري من الشعراء الذين أحسوا إحساسا غائرا بالحزن في واقعه المعيش فيه فعكس ذلك على صفحة شعره وصيَّره لنفسه امتيازاً طرب له وافتخر به وللحزن عند الجواهري مسوغات وأسباب يتضافر فيها الذاتي والموضوعي ولم يكن بمستطاع الشاعر أن يتحصن ضد هذه الأسباب دونما استجابة حزينة تعم أقطار نفسه، ونحن إذ ندرس هذا الحزن ندرسه لا لأنه حزن فالناس جميعا بهذا القدر أو ذاك حزنوا ويحزنون لكننا ندرسه لأنه حزن شاعر مرهف الإحساس متمكن من فنّه يعرض علينا خبايا نفسه بطريقة مخصوصة فينتزع بها منا الإعجاب ويغرينا بالحزن حتى ليجعلنا نحزن له أو نحزن معه فيطيب لنا الحزن كما طاب له.

إن هذا الشعر المعقود على الحزن وليد تجارب قاسية للشاعر وثمرة مرَّةٌ لاحتكاكه المباشر بالحياة والناس والكون وهو من خلال هذا الشعر يرسم صورة دقيقة لمنحاه الجاد في الحياة فيما يأخذ وما يدع وفيما يقبل وفيما يرفض وفيما يحسن ويسوء، وما جرَّته عليه هذه المواقف من آلام كبار وهموم لا تطاق أودعها في أوعية شعرية رقيقة تحمل في الوقت نفسه إجابات شافية عن ثلاثة أسئلة يقام عليها هذا البحث وهي:

لِمَ كان الجواهري يحزن ؟ وكيف كان يحزن ؟ وبمَ كان يلوذ حين يحزن؟

للحزن في شعر الجواهري مادة قيمة، وقد تجلّى ذلك من خلال النصوص المجموعة التي تشكل عماد البحث، وقد ارتأى الباحث بغية التنظيم والتسهيل تشطير البحث على المحاور الثلاثة الآتية:

1 ـ لِمَ يحزن الجواهري ؟

الإنسان كائن اجتماعي يفرح لما يوافق هواه من قول أو فعلٍ أو اعتقاد ويحزن حين تتعارض إرادته مع إرادة الآخر وتقصر وسائله عن حسم التعارض لصالحه، وقد يتساءل متسائل: أيحزن الجواهري وهو الشاعر الكبير ذو الشهرة الطائرة والجمهور العريض والتحدي العنيد ؟ أقول: نعم الجواهري يحزن أيضا مثله في ذلك مثل غيره من الملأ ينتابه ما ينتابهم من عواطف وانفعالات لكن الذي يميزه عن سواه من الناس الآخرين هو أنّه شاعر مسكون بموهبة فذة خالقة تعينه على صياغة عاطفة الحزن صياغة تبهر النفوس وتنزع بها إلى أجواء الشاعر الحزين فتجعل الحزن قسمة مشتركة بين الشاعر والمتلقي عبر التعاطف الحميم معه، ولكن ما الذي يحزن الجواهري ؟ أقول: ليس هناك شيء أوقع للحزن على قلب الجواهري من أن يرى أبناء شعبه وقد حاق بهم الحيف وكبح إرادتهم الظلم وران على واقعهم الهوان؛ ولهذا تتجاوز همومه أناه لتكبر وتشمل وطناً على سعته قائلاً:

بَكَـيْتُ ومـا عـلى نَـفسِي ولَـكِنْ عَـلَى وَطَـنٍ مُضَـامٍ مُسْتَهَـانِ (1)

ويتوحد الشاعر بدجلة مصدر الخير والعطاء في العراق فيحزن أيما حزن لما آلت إليه من ألم وتعرضت له من بؤس وتمزق إذ يقول:

يا دجلة الخَيْر مـا يغـليكَ مِـن حَنَقٍ يُغـلي فـؤادي وما يُشجيكِ يشجيني

مـا إنْ تزال سِياطُ الـبَغي ناقـعةً في مـائِكِ الطُـهر بيْنَ الحين و الحينِ

ووالِغـاتٌ خـيولُ البَغي مصبحــةً عـلى القـرى آمناتٍ و الـدهاقيْن

يا دجـلةَ الخيْر أدري بِالـذيْ طفحت بهِ مجـاريكَ مـن فـوْقٍ ومـن دونِ

أدري عـلى أيّ قـيْثارٍ قَد انفـجرت أنفاسك السُـمر عن أنات محزون (2)

---

(1) - ديوانه: 399/1.

(2) - م.ن: 86/5ـ88.

فالشاعر يغور فيه الأسى حين يرى قوى الجور والبطش متمكنة منها شادَّةً قبضتها عليها مدنسة ماءها الطهور باثة الذعر في أنحاء القرى الآمنات التي كانت تغفو على ذراعيها وتهنأ بسحر ضفافها، فلم تعد دجلة الرازحة تحت العطش سوى مناحة تبث أنغامها الشجية التي هي صورة جلية لأنات أهلها المحرومين من خيرها الفياض وعطائها الدافق.

لقد حرص الجواهري الحرص كله على العراق الموحد وظل طوال حياته يشدو لوحدته وتماسكه كارهاً التجزئة والانقسام مجاهراً بحزنه كلما علا وطنه رذل أو قام عليه شرار الناس:

ولـــكنني آسٍ لِنهْبٍ مقَسَّـــــــمٍ   ولــيس بهِ للصـــالِحيْنَ نِصــابُ

....

ومعكـوسَةٌ حتى كـأنَّ خــيـــارهُ   بِهِ خـطأ ... والأرذلـونَ صـوابُ

أطاحتْ بِأعشـاشِ النسـور بـغاثة   وحـلَّ بـه خـير الوكور غــراب[1]

ينظر الجواهري فيما حوله فيبدو له كل شيءٍ من حوله في غير محله وعلى غير طبيعته، الصور معكوسة، والمقاييس مختلة، والموازين مقلوبة والأوضاع متردية تنحّي كل مرغوب فيه وتدني كل مرغوب عنه وهذا المنظور إليه يستاء منه الجواهري وبوحي من ذلك يحشد التضادات المختلفة (الخطأ والصواب، الخيار والأرذلون، النسر والبغاث) ليسوغ لحزنه عبرها فالأخيار مغيَّبون وهم بالحضور أولى والأراذل محتفل بهم وهم بالإعراض أحق وأولو العزة والشموخ مشرَّدون في المطارح وتلك قسمة غير عادلة وضعاف الناس وأدناهم بأقدار الخلق عابثون عبثاً يثير مكامن الأحزان وذلك واقع والعين تشهد.

ويلخص الشاعر المحزان صورة وطنه المعذب في هذا الثالث المدنس (الفقر) الذي يذيق أبناء وطنه الحرمان المقيم و(الإرهاق) الذي يعطل الطاقات الخلاقــة (والبكم) الذي يسلب المرء قدرته حتى على النطق والسماع وبمقدار هذه الأعباء المتآزرة مع بعضها يكون برم الشاعر بالحياة وسوء فعلها به قائلاً:

فليشهـد النـاسُ طُـراً إنني خجـل   فليشـــهد النـاسُ طُـراً إنني برِمُ

---

[1] - م.ن: 183/4.

وليسمعِ الناسُ شكوى من له اجتمعت   غضاضـةُ العيش والإرهاق والبكم [1]

ولم يعد أمام الشاعر سوى خيارين أحلاهما مرٌّ إما الإقامة في الوطن المضام والإذعان للهيب السياط الكاوية أو التحول عنه على شدة ومضض إلى بلد آخر يسحقه فيه النأي عن الربع والأهل إذ يقول:

أ فنـحنُ المضـعّنون عــن الربـ   ـع ونحـنُ الحمــاةُ فـيه لظعـن؟

أ فنحـنُ الـذين يرتفـع السـو   طُ عليهـم بظنــة المتظـني؟[2]

ووسط هذا الصراع اللدود يفتش الشاعر المهموم عن مخرج لأحزانه فيهرع إلى الماضي مستجيراً به آملاً منه بعض الهناء بيد أنّ الماضي لا يعينه على بلواه بل يستثير أحزانه ويقطع رجاءه حتى تصبح تلك الذكريات صورة حمراء:

يـا ذكـريـاتٌ كـلـها حُـــــــــرَقٌ   تطــأ الفـؤاد وتلهـــــــب الحــدقا

هِي صُــورةٌ حمَـراء مِنْ شَـجـني   تُدمي الـيراعَ وتُرعِبُ الوَرَقــا [3]

إن الشاعر يسحب إلى ذاكرته في يومه ذكريات أمسه متمنياً تكرار حدوثها بيد أن الهموم الجسام التي غزت نفسه وأثقلت كاهله في حاضره أماتت المأمول في داخله فلاذ بالحسرة المرة التي أطلقها غير مرة في بيتيه الآتيين:

يـا أمَّ عـوفٍ وَقَد طـال العَناءُ بنِا   آهٍ عــلى حِـقبةٍ كانـت تُعانيــنا

آهٍ على أيمـنٍ مـن ربـع صبوتنـا   كُـنا نجَـولُ بـهِ غـرَّاً مَـياميْـنا؟[4]

---

[1] - م.ن:520/1.

[2] - م.ن: 233/5.

[3] - م.ن: 302/3.

[4] - م.ن: 202/4.

وإذْ تقذف الغربة بالجواهري خارج الوطن يشتد ارتباطه بالذكريات ويُلح على ذكر تفصيلاتها لاسيما التي عاشها مع أقرب الناس إليه صلـة وأشغفهم حباً وهم عياله، يقول:

خَليليَّ أشْجى مَا ينغِّصُ لَـذَّتي　　　مـناحٌ أقامَـته عِـيالٌ و أَطـفالُ [1]

وتظل الغربة تعنته وتحاصره فيجأر بالنداء لأحبابه على بعدٍ عساهم أن يلتفتوا إليه ويدركوا وقع ضواغط النفس عليه عبر استخدامه المكرر للفظة (مرّ) المستمدة من معجم الذوق ليظهر بها بثَّه وسوء فعل الغربة به قائلاً:

أحــبابنا بين محـــاني العــراق　　　كلـفتم قلــبي مـــــا لا يُطــاق

العــيشُ مـرٌّ طعـمه بـــعدكـــم　　　وكـيف لا والبعـد مرٌّ المــذاق [2]

وبفعل هذه الغربة القاتلة يستحيل الجواهري إلى نمط آخر من البشر إذْ يشرب غير ما ألف الناس شربه (الدمع) ويأكل غير ما اعتاد الناس على أكله (قلبه) ويمعن إمعاناً في الحالين بدلالة صيغتي (شروب، أكّال) حتى ليعود القلب الذي كان متماسكاً قويا في القرب تفاريق بدداً في البعد قائلاً:

فـإني من دمـع عليكـــــم أُذيلـــه　　　شــروبٌ ومن سـوداء قلبي أكّـال

لقـد كان هذا القلب في القرب مضغةً　　　وهـا هو من بعـد الأحبة أوصال [3]

والجواهري لا ينكر أنه عاش في مواطن الغربة محفوظ الكرامة موفور العزة بيد أن العزة التي كان يرفل في أثوابها ويحيا في أكنافها لم تكن بقادرة على دفع طائلة الحزن المستبد به، فالوطن بمعناه الاعتباري شيء وخارجه بمعناه المادي شيء آخر مختلف عنه وذلك الخارج رغم صلاحه لم يقوَ على تضميد كبرياء شاعر قد جرح وجبر خاطر رهيف قد كسر ولم يحمل حلا لشريد لا تنتهي أزمته حتى يزول ذلك التضاد القاهر له في وطن يسلب

---

[1] - م.ن: 265/1.

[2] - م.ن: 255/1.

[3] - م.ن:266/1.

الغراب فيه رفعة الصقر ويسمو عليه ويغدو فيه الفطن النابه مقهورا من بليد خامل الذكر:

في فـؤادي ينُـزُّ جـرحُ الشــريد **أنا في عــزَّةٍ هــنا غــير أنيوعـلى**

الأقـربـين جـدٌ شـــديد **لي عـتابٌ عــلى بلادي شــديدٌ**

ونبيــغٌ ضـحـيةٌ لبـلــيدِ [1] **أ فصــقر طــريدةٌ لــغرابٍ**

فالوطن المعنى لا عوض عنه في المغترب حتى لو كانت الرغبات كلها طوع يد الغريب وحاجاته إليه منقادة (فهو مغرم بالحزن والآهات والأسى حتى وإن وافته الآمال الغر الحسان ورعته العناية بألطافها)[2]

ومن هنا لا يحس الشاعر بطعم البهجة ولا بلذة الفرح في أهنأ لحظات الغربة وتظل نفسه تهفو إلى الوطن (على كدره) ويؤثره على غربته الطرية الزاهية فالوطن على مساوئه ـ عند الشاعر ـ وطن والغربة على محاسنها غربة وشتان ما بين الغربة والوطن والضياع والهوية:

أنىّ ثوى ذو طـماحٍ فـهو مغــتربٌ **في دارة الشمـسِ أو في هـالة القـمر**

سـبعٌ توهمتها سبعـين لا كـــدراً **لكن لحـاجتها القصوى إلى الكدر**[3]

فما بالك بالشاعر يتوهم الأعوام السبعة التي قضاها في منأى عن الوطن وكأنها سبعون عاماً لبطئها وطولها عليه ورغبته الجارفة في مشاركة أبناء الوطن آلامهم وان ذلك كان منه لا لأنه كان يشكو الكدر وسوء الأوضاع ولكن حباً بالكدر لأنه يريده قاسماً مشتركاً بينه وبين أحبائه أبناء الوطن.

---

(1) - م.ن:76/5.

(2) - الشعر والزمن:79.

(3) - ديوانه:315/5.

إنَّ الشاعر يعي وهو في حومة الحزن أنَّ المرء إذا طمح إلى الآمال الكبار لامناص له من الاشتباك بالحياة ومواجهة الأقدار وحين تخذله المواجهة ويتعذر عليه نيل مناه يفزع إلى نفسه لائذاً بالحسرة المشوبة بشفيف الندم قائلاً:

جـلبت لي الهـمَّ والهـمُّ عـنا　　　آهٍ مــا أروحــني لـولا المــنى

آهٍ مـا أخـيبني من غـارسٍ　　　شـجر الآمـالِ لـكن مـا جنى[1]

والشاعر المحزون يحاول أن يكسر طوق الحزن المضروب عليه فيستعرض مزايا نفسه مستقوياً بـ (الأنا)، أنا الجواهري الشاعر الذي رفع لواء الشعر، أنا الجواهري الذي يشد إليه الناس الرحال ويحتفون به في كل محفل، أنا الكبير المتربع على عرش الشعر، أنا الذي قارع الحكام الجائرين وأقلق بالهم فهابوا جانبه وخافوا صولته، فالشاعر هنا يصدم الراهن القاحل بالماضي الفاضل ليوهن من سطوة الحزن عليه ويطلع هؤلاء الآخرين على سوء منصرفهم المتمثل بتقلب أهوائهم وتذبذب مواقفهم قائلاً:

وكـأن لـم يرفع مــنار القصـيد　　　وكـأن لـم يكـن محـج الوفــود

ملأ الأرض حين عـادى ذوي الحكـ　　　ـم وذابوا من حـوله حين عودي[2]

وتطفح نفس الجواهري بالحزن لغياب المقاييس السليمة في بيان أقدار الناس إذْ تعم فوضى عارمة وتسنح الفرصة للمتربصين بالأوضاع باعتلاء منازل ليسوا لها بأهل ومقامات ما أسندت إليهم عن علو كعب وزيادة فضل فما أتعس دنيا يتقدم فيها مَنْ حقه التأخير ويتأخر فيها من حقه التقديم وطبيعي أن لا تروق هذه السفاهة للجواهري بيد أنه الأمر الواقع الذي يدعو إلى الحزن ويحمل عليه:

أمر من المِلـح الأُجاج مــــــواردي　　　وأوجـعُ مِن شَـوكِ القـتادةِ زادي

تقـدَّمَني مَن لستُ أرضى اصطحابهُ　　　وطـاولني منْ لَمْ يـكُنْ بعـدادي[3]

---

(1) - م.ن:131/1.

(2) - م.ن:77/5.

(3) - م.ن:440/1.

ويحزن الجواهري لتقاعس رفاقه عن نصرته وإحجامهم عن الاصطفاف معه بإزاء أعدائه المتكالبين عليه والقادحين فيه وليس هناك ما هو أسوأ من أن ينتصب المرء بمفرده تجاه هجمة الأعداء ورفاقه لاهُونَ عنه ومنفضون من حوله، وقد شكا الجواهري مراراً من تخاذل هؤلاء الرفاق عنه أوان محنته وهو القـائل فيهم:

أ غـمزاً في قَــناتي مِنْ عُــداةٍ   تناهَــشُني وصــمْتاً مِنْ رفـاقِي

ولَهـواً في التنـــدر من جراحـي   تلهــيَّ الطفلِ بالكسر الدِّقاق [1]

لقد كانت كل هذه البواعث المذكورة من وطن مضام وذكريات حبيبة إلى النفس وبعدٍ عن الأهل والصحب والخلان والعيال واختلال قواعد السلوك في المجتمع والسعي المريب للحاسدين والعُداة وقلة الوفاء والطموح المتعثر كانت مجتمعة أسباباً مثيرة لأحزان الجواهري ومحركة لأشجانه التي أودعها شعره وأفصح عنها بالكلم الحسن والأداء الآسر.

2 - كيف يحزن الجواهري ؟

للحزن كما للانفعالات النفسية الأُخرى كالغضب والخوف والفرح أمارات تدل عليه ومظاهر تنبئ عنه وتغدو هذه الأمارات لغة إشارية تفصح عن الحزن الثاوي في النفس وإن كانت عاجزة عن تبيان أسبابه أحياناً، والجواهري حين يحزن يطوع لغته تطويعا فاعلاً ليتوفر بها على الطرائق التي ترفع الحجب عن عواطفه الكامنة التي تنطلق من ضميره كما يقول:

أبداً أنــوحُ منَ الضميــــ   ـــر وبالضميــــرِ أُغرِّدُ [2]

ويطلعنا الجواهري على أحزانه من خلال شكواه المرة وهو يأمل أن تكون هذه الشكوى متنفساً عن أثقال نفسه المحزونة بيد أن هذا الأمل يتراجع إذْ يرى أحزانه أكبر

---

[1] - م.ن:273/5.

[2] - م.ن:93/6.

بكثير من أن تستوعبها شكوى مبثوثة باللسان بل ان اللسان نفسه ليتعطل عن أداء وظيفته في النطق لشدة تأثير الحزن فيه فيقول:

وتُنطِـقهُ الشكوى فيُخرسُهُ الأسَـى فيسْكتُ لاحيْهِ إذا جـدَّ عـاذره [1]

وما الشكوى هنا إلا (عاطفة إحساسها الشعور بالحرمان ولكنها من أول الفنون التي تفصح عن عاطفة الإنسان المتشائمة الناقمة وتعكس أوجاع النفس في أشجانها وقنوطها وآلامها نتيجة التناقض والإحباط أو الضعف الذي يواجهه الإنسان إزاء قوة لا يقدر عليها)[2]، فالجواهري يحس أن في الشكوى دلالة ضعف فيلملم مواجعه ويستجمع قواه ليواجه القوى القاهرة له أو في الأقل ليبدو كالقوي ووسيلته في ذلك الصبر على البلية وحبس النفس عن الشكوى قائلاً:

وشـكواك فأكتـمها وقل متجـلداً زمانٌ مَضـَتْ أولاهُ هذي أواخـرهُ [3]

لكن كتمان الشكوى لم يمنح الجواهري الصورة الفاعلة التي يمحو بها شماتة الشامتين به إذ إن البكاء يعلن المخفي ويكشف عن المستور ويفسد عليه خطته في التجلد فتراه يقول:

تَفـرد بالشـكوى فأسعـدهُ البُكـا لقـدْ ذلَّ من فَيْضِ المـدامعِ ناصِره[4]

هنا يجدُ الشاعر في البكاء بعضَ الهناء على الرغمِ من سعيهِ الحثيثِ إلى كتمان أحزانهِ فيلوذ بهذا البكاء ليسعد أمّا الكتمان فيأبى عليهِ كفَّ دمعهِ أو جرى قائلاً:

وَهـلْ ينْفَعُ المفجوعَ حَبـسُ دمـوعِهِ وباطـن مـا يخـفيهِ يُبديهِ ظاهِرهُ [5]

---

(1) - م.ن:109/1.

(2) - الشكوى: 4.

(3) - ديوانه:90/1.

(4) - م.ن:109/1.

(5) - م.ن:90/1.

فَدمعُ العينِ هو بديلُه الأثير المعبِّر عن أحزانهِ حينَ يعتري لسانهُ الوهنُ وتخذلهُ آلة النطقِ عن البثِّ والشكوى قائلاً:

يا سـادتي أمَّـا اللـسانُ فـواهـنٌ   متلَجلِـجُ فلتُلْهبنـكمْ أدمعُ [1]

فالهمُّ ظاهر والضياعُ واقع واقع والألمُ كبير وكفةٌ الزمان هي الراجحة وليس للشاعر حولٌ أو قبل على مطاولتهِ وردِّ قساوتهِ عنه فطرفا الصراع ليسَا متكافئين وليسَ أمامَ الشاعر بإزاء سلطان الزمان العاتي سوى خطابٍ منسوج بنبرة بادية اللين سافرة الرجاء في الدعوة إلى رعاية المنكوب بعد تتابع أحزان وطول عهد بالنكاية فهو يقول:

لعـلَّ زمـاناً ضـيَّعتني صروفُـهُ   يَرق فَيُرعى فـيهِ قـدرٌ مضيَّعُ [2]

وفي الليلِ إذْ تَسكُنُ النفوس وتهدأ يثور بركان الحزن في داخل الشاعر فيأبى عليه النوم وهنا يتراكب الهمّ ويتضاعف إحساس المفجوع بالوحشة وانقطاع الصلة بينهُ وبين المعين على البلوى أو في الأقل يحسّ بالاختلاف البائن بين حاله وحال الآخرين المتمثل بقلقة الذي تجاوره راحة بال الآخرين وأيَّ قلقٍ أشدّ من قلق الضجيع على النار كما يقول:

وبِتُّ بلـيلٍ لـفرط الأسـى   كلـيلِ الضَّـجيعِ عـلى نارهِ
وظـلَّ يحـنُّ فـؤاد المشـوق   لِـذكر الحبيبِ وأخـبارهِ [3]

ويعقد الشاعر الآصرة بين أرقهِ وليلهِ المعيش فيهِ بالتأكيد على اللون الأسود ومدلولهِ الكآبي (داجٍ، مسود) بهدف الإمعان في العتمة لكنه لا يقف عند حدود اللون وحده إنما يقرن قتامة الليل بحركة الزمن المحكوم بثقل الخطو و بطء الجريان وهذا البطء بلا شكّ يُفضي إلى إطالة أمد الأرق والشاعر هنا يخضع الزمن (الليل) لحركة نفسه فيجريه كما تشاء نفسه (الحركة المقيدة) لا كما يشاء الزمن في التواصل غير المنكفئ (الحركة الطبيعية

---

[1] - م.ن: 497/1.

[2] - م.ن:112/1.

[3] - م.ن:178/1.

السلسلة) فهناك زمن بطيء وأرق متتابع قبالة عجز ظاهر فضلاً عما يوحي به الفعل (نرسف) من سلطان الهمّ عليهِ وتعذر وسائلهُ في الخلاص من ربقتهِ:

ولــيلٍ موحــشِ الجـنباتِ داجٍ ... شـتيم الوجـهِ مسـوَّد الــرواقِ

أُشَــدُّ الى النــجوم بهِ كــأنّي ... وإياهــنَّ نرســف في وثاقِ[1]

وإذا كان بطء الزمن يوحي بأجواء النفس الحزينة المثقلة بأوزار الهموم فإنَّ هناك أمارات أخرى للحزن تبدو شاخصةً للعيان تنبئ عن الحزن الكامن من خلال حشا دامٍ ووجه أسفع[2] وأعصابٌ تتمزق[3] وجفنٌ قريح وقلبٌ شقّهُ الورم[4] وأصغرينِ قد شُلاّ[5] وفؤادٌ ملؤهُ ضرم[6].

ويريد الجواهري أن يخرج بحزنهِ من طوره المألوف إلى أطوار أُخرى أكثرُ سعةً وشمولاً فيحاول أن يُشرِكَ معهُ بعضاً مما يحيط به من مظاهر الطبيعة كالشجر الذي لايني عن التعاطف معه فإذا ما علم باحزانهِ تعطلت فيهِ وظيفة الايراق لكنه يجهل حزن الشاعر وهنا يتوافر الشاعر على تحقيق أمرين بقولهِ: (لو يعلم) أولهما التعبير عن عظم أحزانهِ وشمولها والآخر مطابقة كلامه لمقتضى الواقع فالشجر في واقع الحال دائب على الإيراق سرَّ الجواهري أو حزن لكن يعزو إيراق الشجر إلى جهلهِ بحزن الشاعر ولو جعله غير مورق بعد تمام العلم لبانَ ادعاؤهُ المحض ولفقد مجازه طعمه وطاش سهمه عن حسن التعبير وجمال التصوير:

لــو يعلـمُ الشـجر الذي أنـبتَّهُ ... مـا حلَّ فيكَ من الأذى ما أورقـا[7]

---

(1) - م.ن:271/5.

(2) - م.ن:498/1.

(3) - م.ن:53/1.

(4) - م.ن:519/1.

(5) - م.ن:173/2.

(6) - م.ن:520/1.

(7) - م.ن:248/1.

إنَّ حزن الجواهري دائم لا يزول ولا يتوقف وإنَّ سعيهُ للفكاك من إسارهِ سعيٌ للوقوع فيه وإنَّ الهرب منه لا يعدو كونه هرباً إليه وقد حمله هذا الحزن الذي لا يكل على الزعم بأنَّ الإنسان ما وجد إلا ليشقى ويحزن وذلك هو قدرهُ الذي يعيا بهِ ويذعن لهُ:

إذا تخلصتَ من همٍّ أطحْتَ بهِ ... شَبَّتْ همومٌ على أنقاضِهِ جُدُدُ

كأنَّ نفسكَ بُقيا أنفسٍ شقيت ... وكلُّ ذنبٍ ذويها إنَّهم وجدوا [1]

وتحت وطأة الحزن الطاغي يلغي الشاعر التضاد بين الفرح والحزن حتى يستحيل التضاد إلى تآلف حزين (النعماء والبؤس) و(الصفو والكدر) فيصبح النعيم متجانساً مع البؤس والصفو متعاشقاً مع الكدر ولهذا يراوده الحزن حتى في أهنأ ساعاتهِ قائلاً:

يا سامر الحيّ إنّ الدهرَ ذو عجبٍ ... أعيتْ مذاهبهُ الجلَّى على الفكر

كأنَّ نعماءه حُبلى بأبؤسهِ ... من ساعة الصفو تأتي ساعة الكدر[2]

وحينَ لا يقوى الشاعر على مقاومة الحزن في نفسه يُوسع نفسه لوما وتقريعاً لأنه اصطنع منهج الجد في الحياة وهذا المنهج شاق عسير محفوف بالمخاطر الجسام التي تقلق البال وتكدر الحال ولو أتى الحياة من منحاها الهازل لكانت العاقبة على شاكلة أُخرى لا أثرَ فيها لحزن ولا مطرح بها لهمٍّ:

ماذا صَنَعْتُ بنفسي قدْ أحقتُ بها ... ما لَمْ يُحِقهُ بـ (روما) عسف نيرون

ألزمتها الجدَّ حيثُ الناسُ هازلةٌ ... والهزلَ في موقف بالجدِّ مقرون [3]

على الرغم من أن لوم النفس واضحٌ في البيتين بيدَ أنهما لا يخلوان من نبرة الفخر بالنفس ويتجلى ذلك في عزوفه عمَّا تهافت عليه الآخرون من هزلٍ قريب المنال ميسور

---

[1] - م.ن:349/5.

[2] - م.ن:314/5.

[3] - م.ن:99/5.

الأسباب، من هنا يصيِّر الشاعر الحزن ميزةً لا يحتمل أعباءها إلاّ المثابر أما الهازل غير المبالي بالحياة فبينهُ وبين الحزن بون وأيُّ بون.

3 - بِمَ يلوذُ الجواهريّ حينَ يحزن ؟

يعمد المحزون عادةً إلى اللوذ بوسائلَ تعينه على الخلاص من أحزانهِ أو التهوين من سلطانها عليهِ، والوسائل إلى ذلك تتنوع وتتعدد وللناس مذاهب في اصطفاء هذه الوسيلة أو تلك أو الجمع بين هذه وتلك بفعل ضواغط النفس، وللجواهريّ في هذه الأحوال معينات يخف إليها كلما ضاق صدره بالهمّ ومنها الشعر، وصحيح أنَّ الجواهري يذِّكر بأنَّ شعره قد جرَّ عليه الويلات وأذاقهُ صنوف الحرمان والعسف كما في قوله:

سَتعرفُ مَا معنى الشّعور وكَم جَنتْ ... لَـنا موجعاتِ القَلب هذي المقاطع[1]

بيد أنّهُ يُصرح مراراً بأنَّ الشعر هو الموئل الأثير الذي ينصرفُ إليه ليستريح عنده وينفس من خلاله عن كربهِ وآثارها بل إنَهُ ليجعل الشعر الجيد وليد الألم والحزن وينفي عن شعره الجودة بغياب الحزن المؤثر قائلاً :

ولكـم طربتُ فـما أجدْتُ وحسبكم ... أني أُجـيدُ الشــعر حينَ أنــوحُ

أمَّــا التباريحُ الحِــرارُ فــانّهـــا ... للنفــس ممّــا تشـتكي ترويحُ[2]

والشعر المقدود من الحزن متوافر على الصدق الذي يضمن له التدفق أوان القول والقبول الحسن والانتشار الواسع أوان التلقي، والشعر البريء من الحزن شعرٌ لا يُفضي إلى شيء ولا يثمر عن شيء ومثلهُ في ذلك مثل السراب الذي يخيب آملهُ ويخذل قاصدهُ:

---

(1) - م.ن:101/1.

(2) - م.ن:431/1ـ432.

هـوَ الشّـعر موجـوعاً ينابيعُ رحمـةٍ وخلـواً من القلـبِ الجريحِ سـرابُ

أ للـناسِ زاد غـير آهـةِ شـاعــــرٍ ؟ وغير الدم المنـزوف منهُ شـرابُ[1]

وإذا كانت الحياة مستحيلة على البشر من غير طعام وشراب وتلك مسألةٌ لا جدالَ فيها فإنَّ الجواهري يسحب قاعدة مشابهة لهذه القاعدة على شعره إذْ يرى أن لا حياةَ لهذا الشعر ما لم يقم على عيون تسبل الدموع وقلبٍ يقتات على الحزن:

أيدري مَنْ يُردِّدهــا حسـانــاً خــلاءً من زحــافٍ أو سـنادِ

بأنَّ الشــعر تشــرب من عـيوني قـوافيه وتأكـلُ من فـؤادي[2]

إنَّ القصيدة الدَّموع التي يكتبها الجواهري لا ينتهي أثرها عند تفريغ الهموم في الحروف إنَّما ينتظر منها استجابة حزينة مماثلة من متلقيها قصد الإشراك وحيازة التعاطف وإلاّ فماذا يُغني أو ماذا يعني هذا الدمع المشعور أو هذا الشعر الدميع ؟ والجواهري يبحث عن هذا الأثر في هذا التساؤل المطروح في قوله:

القــوافي أدمــعٌ منظـومـةٌ والأناشـيــــــد بكـاءٌ وحــنينٌ

كــيفَ لا تحزنكــم أُهــزوجةٌ كـانَ من أوتارهـا القلبُ الحزينُ[3]

إنَّ هذا الشعر مستودعٌ لعواطف الشاعر وترجمةٌ خالصةٌ لوجدانهِ المكلوم فإن أراد امرؤٌ أن يرود شيئاً أو أشياءَ من أمر حزنه اهتدى بشعره إلى ضالتهِ ومن هنا يكون الأمر سيان أن ترى الجواهري حزيناً بأمِّ عينيكَ أم تقرأ أشعاره وتوقعها على سمعك لأنَّك لا تقرأ أو تسمع ألفاظا وتراكيب إذ تقف على شعره إنّما تحسُّ بمشاعر تأخذكَ في الحزن أخذاً وعواطف تبسطُ ظلالها عليك بسطاً ودونك في هذا قوله:

---

(1) - م.ن:182/4.

(2) - م.ن:402/1، وينظر94/6.

(3) - م.ن:271/1.

هـذا القصـيد (أبا عـلي) كـلُّه حـزنٌ وكـلُّ سطـوره أوصابُ
ثِقْ أنَّ أبياتي لـــسانُ عـواطـفي ثِقْ أنَّ قلـبي بينهــنَّ مــذابُ[1]

ويرى الجواهري أنَّ (الشعر لا يولده إلاّ الحزن والغضب والمصائب ولا يؤثر في متلقيهِ إذا كان مرفهاً وليد الحياة الطيبة)[2] ولتأكيد هذه الفكرة يقول:

أمَّـا القـوافي فـأنغـامٌ توقِّـعهـــا يدُ الخطـوبِ إذا مـا هيْجـت عصبي
أصِخ لتلـحينِ روحـي وهـي ناقمةٌ فـما يهـزكَ لـحن الروحِ إن تَطِب
شجـتْكَ كُـربةُ أبياتٍ وجـدتَ بها على كـآبتها تفريجـةُ الـكرب [3]

والجواهري المستجير من الحزن بالشعر ينقل عدوى أحزانهِ إلى الشعر نفسه فكلاهما معذبٌ مهموم وهمه وهم الشعر سواءُ وما همّ الشعرِ لدى التحقيق سوى همّ الجواهريّ نفسهُ الذي يبكي الشعر إذ يرى ساحته كظيظةٌ بأدعياء الشعر ومستباحةٌ من الطارئينَ عليهِ:

أنا يا شـــــعر وإيـاك ســـــواءٌ في العــــذاب
أنا ممـــــا بكَ أبكـيكَ وتبكـــــيني لما بي [4]

ويختصر الشاعر الحزن كله حزن القوافي وحزن البلادِ بأسرها في صورة نفسه ويعكس من خلال هذه الصورة الشقاء الجاثم على البلاد قائلاً :

ولا تعـجبوا أنَّ القــوافي حــزينةٌ فكـلُّ بلادي في ثـياب حِــدادِ
وما الشعر إلاّ صفحـةٌ من شـقائـها ومـا أنا إلاّ صـورةٌ لـبلادي [1]

---

(1) - م.ن:505/1.

(2) - مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره:88.

(3) - ديوانه:203/2.

(4) - م.ن:318/1.

والصبر على المكروه موئلٌ آخر من الموائل التي يلجأ إليها الجواهري كلما طافَ بنفسهِ طائف الحزن، يصبر حتى تنجلي الغبرة وتعود الأشياء إلى سياقها المعهود وهو يؤمن أيضاً بأنَّ الحياة إذا تعثرت في جانب فلا يعني ذلك أنَّ الشوط قد انتهى وإنَّ الغاية قد اندثرت، وأسوته في هذا الصبر الطموح النسر الشامخ الذي قد يسفل والشجرة العظيمة المتسعة التي قد تعطف أغصانها الريح واللبن الخالص الذي قد يشوبه بعض الماء قائلاً:

حنانيكِ نفسي لا يضِقْ منك جانب   إذا ضاق من رحب النفوس جَنابُ

ولا يتهضمكِ انخفاضٌ فطالما   تخفضَّ نسر صاعدٌ وعُقاب

وشامخةُ الأدواح يلوي عنانها   مع الريح والمحضُ الصريح يراب (2)

فالحر الكريم الذي يأبى الانصياع للمذلة والهوان ليس بميسوره إدامة التحدي لعوامل القهر وإحراز المبتغى ما لم يحتمل الألم ويعبئ نفسه بالصبر المكين الذي يشد العزم ويوطد الخطو ويفضي إلى المأمول، ومن هنا ينهى الجواهري نهياً عن فتور الهمة تجاه ألم الحوادث قائلاً:

فلا تبتئس إن آلمتك حوادثٌ   فإنَّ قصارى الحر أن يتألما(3)

بيد أن الشاعر لا ينكر أنه يستسلم للحزن أحيانا إذ لم يعد الصبر ممكناً عليه لطول عهده به وكثرة دأبه عليه وشدة بلواه منه قائلاً:

لم أقوَ صبراً على شجوٍ يرمِّضني   حرانَ في قفص الأضلاع مسجونِ

تصعدت آهِ من تلقاء فطرتها   وأردفت آهةٌ أخرى بآمين(4)

إن التظاهر بالصبر على الحزن لم يعد ممكناً وإنَّ التجلد لا يعدو كونه ذريعة واهية لحجب حقيقة النفس الآسية عن الآخر ويتجلى ذلك في قوله ساعة اخترام الموت زوجته:

---

(1) - م.ن:439/1.

(2) - م.ن:180/4.

(3) - م.ن:116/1.

(4) - م.ن:107/5.

في ذمـة اللـه مـا ألقـى ومـا أجـــــــد   أ هـذه صـخرةٌ أم هـــــــذه كـبدُ
قـد يقتـلُ الحـزنَ مَنْ أحبابه بعدوا   عنـه فكـيف بمن أحـبابــه فقدوا

خلعـتُ ثوب اصـطبار كان يسترنـي   وبـان كـذبُ ادعـائي أننـــي جلد
بكيـتُ حتى بـكى مَن ليـس يعرفُني   ونحـتُ حـتى حكاني طـائر غرد
كمـا تفـجَّر عـيناً ثـرةً حـجــــــــرٌ   قاس تفـجَّر دمـعاً قـلبيَ الصلد[1]

ويتوسل الجواهري بالحزن نفسه ليتحرر من ربقة الحزن وتصبح مشكلة الحزن في هذه الحال حلاً ينصرف به النظر عن الحزن القديم باتجاه الحزن البديل الذي يبقى عالقاً يستشرف الحل فيقول:

وعـالجتُ الأسـى بأسـى جـديـد   عـلى أن الطـبيب هـو العـليل
وقـد يُـوقى بـفرط الـوجد وجـدٌ   وقـد يُشـفى بحـرقتـه الغـليل[2]

إنَّ الحزن الكبيرـ عند الجواهري ـ يلغي ما هو أدنى منه وأهون ولهذا يوازن بين آلام شعبه وآلام فاتر ولو تهيأ لجوته القدير ـ كما يرى ـ أن يعيش آلام شعب الجواهري لهانت عليه آلام فاتر وصغرت في عينه لهول ما يرى ولا نصرف عنها ليقدم للعالم قصة ابعد أثراً منها عن حزن أشد إيلاماً وأعمق غوراً وأدعى للفن الجميل:

لو لـ (جوتٍ) تبـدو تعاسة هذا الـ   شعـب يـوماً لـكـــــان أجمـل فـنا
لتـنـاسـى (آلام فـرتـر) طُـــرَّاً   ربَّ حزنٍ ينـسى أخا البؤس حزنا[1]

---

[1] - م.ن:351/2.
[2] - م.ن:116/7.

ومن منطلق الانغماس في الحزن يعقد الجواهري نفسه على الحزن ويلح في طلبه وكأن نفسه تأبى الفرح وتضيق به كما يضيق الناس بالحزن ويذهب بعيداً بعيداً عن مألوف الناس حتى لينكر على نفسه أن تعيش ساعة من بهجة وعلى صدره أن ينشرح لبارقة سرور:

فمن يتنكر من همومٍ فإنني لأُنكر أن أعتاد غير التحرق

وأنكر نفسي أن تُرى في انبساطةٍ وأنكر صدري أن يُرى غير ضيق[2]

وبوحي من هذا الاندماج بالحزن يبرد الشاعر المحزون ضرام حزنه بالحزن قائلاً:

ودبَّ في القلب من تاموره ضَرَمٌ ما انفك يُثلجُ صدري حين يصلني[3]

والشاعر متآلف غاية التآلف مع الحزن وآيةُ ذلك هذا الاحتفاء الحميم بالأرق المكدر للنفس والمعكر لصفو الليل فضلاً عن غرامه المفرط بالطارئات إذ يقول:

مرحباً أيها الأرقُ أنا بالطارئات أنتعشُ

لي فؤادٌ بالأمن يحترقُ وجفون بالنوم تنخدش

أكره البدر دهره نسقُ

وأحبُ النجومَ ترتعشُ[4]

إن الشاعر ههنا يسير في اتجاه مغاير لما اعتاد عليه الناس فهم ينشدون الخلاص من الأرق ويضيقون به وهو يرحب به ويأنس، وهم يفزعون من الطارئات وهو بها ينتعش ويكلف، وأفئدتهم تحترق من الخوف وقلبه بالأمن يحترق وعيونهم تقرح بالسهاد وعيناه

---

(1) - م.ن:451/1.

(2) - م.ن:514/1.

(3) - م.ن:107/5.

(4) - م.ن:118/5.

تقرحان بالنوم، أن هذا الترحاب الحار بالأزمات والأحزان يتكرر على لسانه ويعتد به إذ يقول:

قالوا أتت أزمةٌ جلّى فقلت لهم   أهلاً وسهلاً فنعم الطارق الأزمُ(1)

فالجواهري (هو المرء الذي يعيش في الأرق أكثر مما يعيش في الصحو ويجد نفسه في البؤس أكثر مما يجدها في النعيم فان وجدها في صحو أو نعيم فقل إن هذين من ذينك)(2).

وقد يعمد الجواهري ـ إذا داخله الهم ـ إلى الخمر يستنصرها عليه ويستشعر الراحة في شربها، فهي تزيح عنه ـ ولحين ـ أطرافاً من مشاعره غير السارة ولهذا تراه يقول:

أ ليتُ أُبردُ حرَّ جمري   وأديل من أمر بخمرِ

وأُقايض البلوى بأية   بسمة عن أيّ ثغر(3)

فهو يطفئ حر الحزن وأواره باللجوء إلى الخمر (ففي اللجوء إلى الخمر نشدان للفرار ويكون ذلك بصد وسائل الحس عن التواصل مع الواقع، إنه يفصل الوعي عن التواصل معه ويخرج العقل عن عالم المواجهة المطلوبة فهو بذلك يرخي العنان لّلاوعي ويرفع عن اللاوعي مضايقات الوعي)(4).

إنَّ الجواهري لا يرى نفسه بدعة في اللجوء إلى الخمر للتهوين من ضواغط الحزن عليه وإحلال المسرة في النفس بيد أنه يميل إلى تسجيل حالة من التمايز على هؤلاء الشعراء حتى في أحزانه فأحزانه لا تقاس بأحزان الشعراء لأنها أكبر من أحزانهم وابعد أثراً وبالتالي فان الخمر لا تستجيب لحاجة نفسه ومن هنا يهجر الخمر والندامى لطول ملازمته لهما وشدة سأمه منهما وعدم غنائهما في بلوغ المرتجى قائلاً:

رأيتُ معاشرَ الشعراء قبلي   تعدُّ الخمر مجلبةَ ارتياح

---

(1) - م.ن:254/5.

(2) - وراء الأفق الأدبي:190.

(3) - ديوانه:43/7.

(4) - نقد الشعر في المنظور النفسي:99ـ100.

وقد أُغرقت في الأحزان حتى سئمتُ منادمي وذممت راحي[1]

إنَّ تجربة الآخرين مع الخمر والظن بقدرتها على جلب الارتياح المطلوب لهم تجربة غير قادرة على إثبات صحتها حينما يكون حزن الجواهري محكها وهنا يخلع الجواهري على حزنه طابع التفرد والشمول إذ يقول:

يا سامر الحي بي داء من الضجر عاصاه حتى رنينُ الكأس والوترِ

يا سامر الحي حتى الهمَّ من دأب عليه آب إلى ضرب من الخدر

خلاف ما ابتدعت للخمر من صور وجدتُها زادَ عجلانٍ ومنتظر[2]

وقد يهرب الشاعر من واقعه المر الحزين إلى عالم الخيال بغية تسلية النفس، فعالم الخيال عالم جميل فتان يصنعه المرء لنفسه بنفسه وقد جرَّب الجواهري حظه مع هذا الخيال قائلاً:

خيالٌ رحتُ من يأسٍ وحرصٍ أسلّي النفس فيه عن العيان[3]

لكن هذا الخيال الذي فُتن به الجواهري لم يجده نفعاً ولم يقوَ على احتواء مواجعه فألقى سلاحه بين يدي الزمان قائلاً:

إليك زماني خذ حياة سئمتها هي السم في ذوب الحشاشة ينقعُ[4]

---

(1) - ديوانه:443/1.

(2) - م.ن:314/5.

(3) - م.ن:174/3.

(4) - م.ن:112/1.

لقد ضاق الشاعر ذرعاً بدنياه وصروفها القاهرة فتمنى الموت مِلء فيه قائلاً:

لقـد وددتُ وأسـرابُ المـنى خُدَعٌ   لـو تسـلمان وأن المـوت يـطويني

قـد مـتُّ سبعين موتاً بعد يومكما   يـاذل من يشـتري موتاً بسبعين[1]

هرب الجواهري من الدنيا إلى الموت فكان الموت ملاذه الأخير الذي وضع نهاية لأحزانه لكن نهاية أحزانه كانت نهاية لحياته نفسها في الوقت نفسه، وتلك أقسى صورة من صور الضعف الإنساني صوَّرها الجواهري وصار إليها.

لقد حزن الجواهري (وكان الحزن رفيقه ونديمه وسميره لا يملك له راداً ولا يستطيع عنه فكاكاً ولا يجد عنه عزاءً وكان كلما حاول الخلاص منه عاد إليه فوقع فيه)[2].

وخلاصة القول إنَّ البواعث التي أرقت الشاعر وأحزنته كثيرة متنوعة قوامها وطن مضام وشعب مغبون وأوضاع متردية وفقر مستفحل وطموح متعثر وغربة قاهرة حالت دون الغريب وأشيائه الحبيبة من ذكريات مبهجة وأصدقاء خلص وأقارب ودودين ومغانٍ كانت مجتمع الشمل فضلاً عن النوائب التي توالت عليه من فقد أعزة عليه كالأم والأخ والزوجة.و إنَّ الشاعر ينغمس في الحزن إلى الحد الذي يلغي فيه كل أمارة للفرح من حياته وتستحيل عنده لحظات الفرح إلى آنات من الكدر الساحق لا يذوق فيها إلا طعم الحزن وهو لا يني يرحب بالحزن ويحتفي به ويضيق بالنعيم.

ومن مظاهر حزنه الشكوى من الحياة والبرم بها والبكاء المرّ بالدمع الهتون، والإحساس بطول الليل وثقله والإيغال في الحزن إلى المستوى الذي يفضي إلى الخرس وعجز اللسان عن النطق والتعبير فضلاً عن السهاد المؤرق ثم التوسل بالزمن والإذعان له بعد طول تجريب لوسائل المقاومة وسبل الخلاص التي لم تغنِ عن شيء.ويقرن الشاعر الشعر بالحزن ويعد الحزن مرتكزاً أساساً للشعر وشرطاً جوهرياً للإجادة فيه وينفي عن شعره الجودة إذا حاد عن الحزن أو حاد الحزن عنه. وينظر إلى الحزن على أنه مشكلة وحل فالحزن الكبير يفتُّ في عضد الأحزان الأقل وقعاً وتأثيراً في النفس ويكون الموئل من الحزن ـ في هذه الحالة ـ

---

(1) - م.ن:107/5.

(2) - جواهري العراق وعراق الجواهري :151.

إلى الحزن نفسه، فقد ينسي الحزن حزناً وقد يوهنه وقد يلغيه.ويضفي الشاعر على حزنه طابع التفرد والخصوص، فحزنه لا تجاريه أحزان الآخرين وهنا يحس المرء لدى تلقي شعره أنه يفخر ويزهو من خلال حزنه، فحزنه نتيجة من نتائج دأبه على الجد وعاقبة من عواقب إصراره على التحدي. وينصرف تحت تأثير الحزن إلى الخمر لكنه سرعان ما يبدو له أن الخمر لا تقوى على ردِّ أحزانه وتبديد همومه ومن هذا المنظور يسفّه التقاليد التي ركن إليها الشعراء قبله في اتخاذ الخمر عوناً لتفريج الهموم والتسرية عنها.وإنَّ الخيال بتلاوينه الزاهية غير قادر على تخليصه من واقعه الحزين ولو حصل شيء من ذلك فإلى حين إذ ان الحزن في واقع الشاعر من القوة وشدة التأثير ما يجعل الخيال باهتاً مشلول الأداء غير ذي غناء.

ثبت المصادر

ثبت المصادر

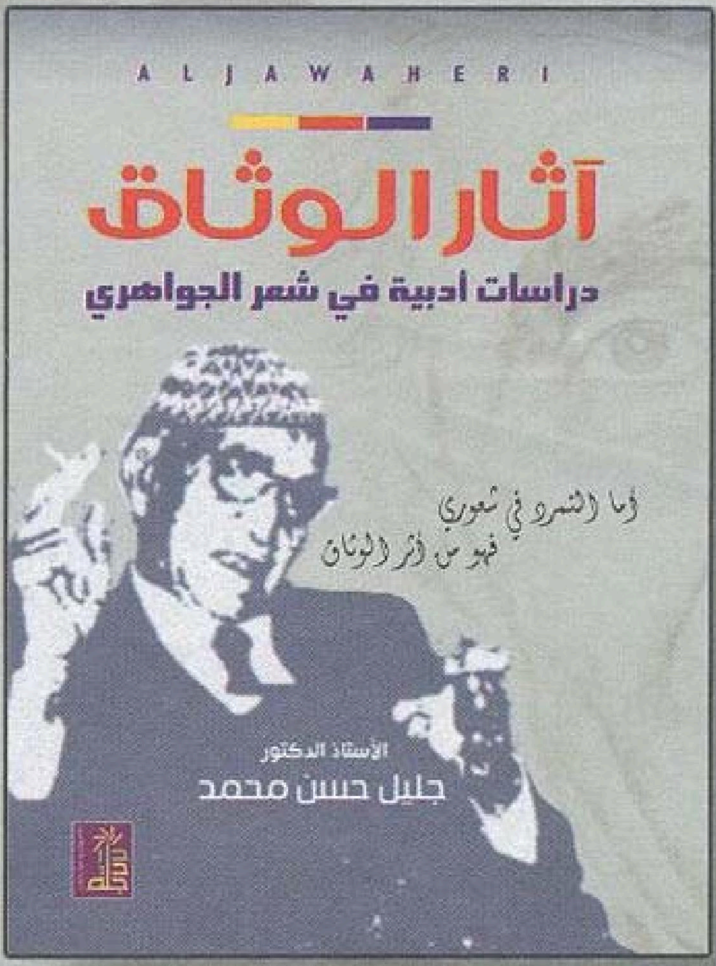
- تطور الشعر العربي الحديث في العراق: الدكتور علي عباس علوان، دار الشؤون الثقافية، بغداد.
- تهذيب اللغة: الأزهري، تحقيق عبد الحليم النجار، الدار المصرية للتأليف والترجمة والنشر.
- جملة استثنائية: صلاح فضل، مجلة الثقافة الجديدة، العدد 279، سنة 1997.
- جمهرة اللغة: ابن دريد، مكتبة المتنبي، بغداد، طبعة بالأوفست.
- جواهري العراق وعراق الجواهري: أحمد جواد رضا، الطبعة الأولى، دار الكنوز الأدبية بيروت، 2003.
- الحنين إلى الوطن في الأدب العربي حتى نهاية العصر الأموي، محمد إبراهيم حور، دار نهضة مصر للطباعة والنشر، 1973.
- الخوف في الشعر العربي قبل الإسلام: جليل حسن محمد، رسالة دكتوراه على الآلة الطابعة، جامعة الموصل، 1994.
- ديوان الجواهري: جمعه وحققه وأشرف على طبعه الدكتور إبراهيم السامرائي والدكتور محمد مهدي المخزومي والدكتور علي جواد الطاهر ورشيد بكتاش، مطبعة الأديب البغدادية، 1973ـ1980.
- الذات والغرائز: فرويد، ترجمة: محمد عثمان نجاتي، الطبعة الثانية، 1955.
- روح العصر، دراسة نقدية في الشعر والمسرح والقصة: الدكتور عز الدين إسماعيل، دار الرائد العربي، الطبعة الأولى، بيروت، 1972.
- الزمن عند الشعراء العرب قبل الإسلام:عبد الإله الصائغ، دار الشؤون الثقافية العامة بغداد، 1986.
- الشعر بين الواقع والإبداع: صبيح ناجي القصاب، وزارة الثقافة والإعلام، بغداد، 1979.
- الشكوى في شعر القرن الرابع الهجري: جواد رشيد محمد، رسالة ماجستير على الآلة الطابعة، كلية الآداب، الجامعة المستنصرية، 1988.

- علم النفس في الحياة العملية: بونهارت، ترجمة: د. إبراهيم عبد الـلـه محي، الطبعة الثالثة، 1967.
- علم النفس والأدب: الدكتور سامي الدروبي، منشورات جماعة علم النفس التكاملي، دار المعارف، الطبعة الثانية،1981.
- لسان العرب: ابن منظور، تحقيق عبد الـلـه علي الكبير وآخرين، دار المعارف، القاهرة.
- لغة الشعر عند الجواهري: الدكتور إبراهيم السامرائي ضمن كتاب (محمد مهدي الجواهري دراسات نقدية) بإشراف هادي العلوي، مطبعة النعمان، النجف الأشرف، 1969.
- مجلة الشعر البيروتية، العدد 38، السنة العاشرة، 1968.
- مجلة المثقف العربي، حزيران، 1971.
- مجمع الأضداد، دراسة في سيرة الجواهري وشعره، سليمان جبران، الطبعة الأولى، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، 2003.
- محاضرات الأدباء ومحاورات الشعراء والبلغاء: الراغب الأصفهاني، منشورات مكتبة الحياة، بيروت.
- المرثاة الغزلية في الشعر العربي: الدكتور عناد غزوان إسماعيل، مطبعة الزهراء، بغداد، 1974.
- المطر والميلاد والموت في شعر السياب، عبد الرضا علي، مجلة الأقلام، العدد 3، السنة الثالثة عشرة، 1977.
- مقالات في الشعر الجاهلي: يوسف اليوسف، دار الحقائق للطباعة والنشر والتوزيع، الطبعة الرابعة، بيروت، 1985.
- من الغربة حتى وعي الغربة: فوزي كريم، وزارة الثقافة والإعلام، العراق، 1972.
- نقد الشعر في المنظور النفسي: د.ريكان إبراهيم، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، 1989.
- وراء الأفق الأدبي (مقالات): د. علي جواد الطاهر، منشورات وزارة الإعلام، الجمهورية العراقية، دار الحرية للطباعة 1977.

الفهرس

آثار الوثاق

دراسات أدبية في شعر الجواهري



ISBN 9957-71-124-5
9 789957 711245

دار دجلة
ناشرون و موزعون

عمان ـ شارع الملك حسين ـ مجمع الفحيص التجاري
تلفاكس : ٠٠٩٦٢ ٦ ٤٦٤٧٥٥٠ خلوي : ٠٠٩٦٢ ٧٩ ٥٢٦٥٧٦٧
ص ب: ٧١٢٧٧٣ عمان ١١١٧١ ـ الأردن
بغداد ـ شارع السعدون ـ عمارة فاطمة
تلفاكس: ٠٠٩٦٤ ١ ٨١٧٠٧٩٢ ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٢١٥٢٧٥٥
خلوي: ٠٠٩٦٤ ٧٧٠٥٨٥٥٦٠٣ ٠٠٩٦٤ ٧٩٠٢٢٢٥٥٤٩
E-mail: dardjlah@yahoo.com